مولانا محمد على الزعيم الهندي

١٨٧٨ — ١٩٣١

بقلم عجاج نويهض

* * *

هو والشاعر الفيلسوف محمد اقبال (١٨٧٣ — ١٩٣٨) او الفيلسوف الشاعر ، كفتا ميزان في الغاية التي يرميان اليها وهي النهج بالاسلام نهجا حرا نقيا ، والمسلمون بيضا وسمرا وسودا ، اسيويا وافريقيا ، متحررون من الاجنبي . وانما يختلفان في الطرق والوسائل . فمولانا محمد علي منهاجه ان يعمل توا في تحريـك العضو المسلم في جسم السوسيولجيا الاسلامية ، ليكون مجرى التاثر والانفعال يمشي في شرايين المسلمين جميعا ، وتعزيب المسلم مـن ارتفاع المثل الاسلامية العليا ، وتغذيته بثمار الاخـوة الاسلامية فيقلبه . اما صنوه محمد اقبال ، فهو آخذ بهذا ، ولكن المحرك عنده ان تعود روح الاسلام كالنفحات العلوية مقتبسة مـن عصر النبوة والسعادة ، عصر الراشدين والتابعين ، فيزهر الاسلام بأبطال جدد على غرار الاولين ، فتصطلح الامة وتستمسك بالصراط المستقيم . محمد اقبال اعظم شاعر مسلم صوفي في الزمن الحديث(١) .

وكأني بهما في الفرق بينهما وسائل وطرقا واساليب ، كالفرق على ما يرى بين السيد جمال الدين وتلميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، رضي الله عنهم اجمعين : السيد جمال الدين كان لشدة شوقه ، ونار ايمانه والمتانة في رباطة جاشه ، يعتقد ان البدء بتغيير الدساتير المقيدة للمسلمين ، وخلع الجالسين على كراسي الحكم هما مفاتيح البداية . اما تلميذه فخر العقول ومشرق النبوغ الاستاذ الامام ، فبعد تجاربه الحلوة والمرة مع استاذه السيد جمال الدين ، وبعد عودته الى القاهرة بعد المنفى اثر حركة عرابي ، وبعـد انتقال جمال الدين من لندن وهو هناك طليق « الى القفص الذهبي » عند عبد الحميد ، فأمسى هنا مقيدا حبيسـا ، تفرد الاستاذ الامام بأسلوبه الذي فطره الله عليه وهو ان يكون معلما مهذبا مدرسا ، يتعاطى وعقول الناس ، الناس جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ، ما يتعلق باصلاح نفوسهم بأن يفهموا كتابهم الكريم فهما صحيحا لا عوج فيه ولا امت . لخيرهم في دنياهم واخراهم . هذا بكلام آخر يدخل في ان الاستاذ الامام يعتقد بالتربية واصولها ، والتربية هـي للنفوس كالغذاء للاجسام ، وكلاهما ، الاستاذ وتلميذه — جمال الدين ومحمد عبده ، الى « طاحونة » واحدة والفرق بين الرجلين في الاصلاح ظاهر لا يحتاج الى شرح .

اما السيد عبد الرحمن الكواكبي فاخذ من الرجلين او الاسلوبين ، ولكـن طرائقه عملية لا نظرية ، وليس بوسعنا هنا الاستطراد الواسع في هذه النقاط التي تمثل اصفى عقول رجال الاصلاح في العالمين العربي والاسلامي في العصر الحديث . وانما الشيء الجديد الذي طرأ على روح الحضارة السائرة اليوم ، هو جبروت التكنولوجيا ، مما لم يخطر على بال البشر من قبل .

ذكرنا في مطلع هذا الفصل المشابهة في المثل الاسلامية بين مولانا محمد علي والفيلسوف الشاعر محمد اقبال . وها نحن عائدون الى مولانا محمد علي ونقول ان كليهما ، عليهما رحمات الله ورضوانه ، توفيا قبل الحرب العالمية الثانية ، فمحمد علي كانت وفاته سنة ١٩٣١ ومحمد اقبال ١٩٣٨ وكان قد اشترك في المؤتمر الاسلامي في القدس آخر ١٩٣١ واوائل ١٩٣٢ .

والاسباب الداعية لوضع هذا الفصل في مولانا محمد علي ، ويشاركه فيه الى حد اخوه مولانا شوكت علي ، هـو ما كان لهما من الصلة الوثيقة الواشجة بفلسطين والعمل النضالي في الهند من اجلها ، وكيف نشأت تلك الصلة ونمت وامتدت ثم ان مولانا محمد علي واخاه مـن شخصيات العالم الاسلامي البارزة وقد عرفناهما رحمهما الله خيطا خيطا ، منزعا منزعا ، ولا يتسنى لاحد ان يعلم عظمة النفوس الكبيرة في هذه الدنيا الا بالمجاورة وعن كثب . وهذا كله لعمري يؤلف جانبا من تاريخ فلسطين ، وانا الى اليوم لا اصدق ان فلسطين كلها يبتلعها اليهود واميركا والدنيا تظـل قائمة : فاما ان يستيقظ العرب استيقاظة حقيقية فعالة قبل فوات الاوان ، واما لا سمح الله ان يغلب اليهود والعرب بين النوم والتثاؤب ، وهناك الذل وليس للعرب المعاصرين بل لعرب المستقبل وللاجنة التي لا تزال في ارحام امهاتها .

علينا ان نعرف اولا (بتشديد الراء) بالاخوين شوكت علي ومحمد علي ، تعريفا عاما ، وهذا يشملهما معا لانهما كانا في قرن واحد (بفتح الراء) في اشواط التعلم والدراسة في الهند وبريطانيا . فقد كان تخرجهما معـا من جامعة (عليكره) الشهيرة في الهند ثم درسا في اكسفورد الدراسات العالية . فهما في نهاية القرن الماضي وبداية الحاضر كانا من ابرز متثقفة الهند المسلمين ، وكانا على غاية الاناقة في المظهر واللباس على غرار مقلدة الافرنج ، ثم انقلبا ونبذا اللباس الافرنجي واستمسكا باللباس الوطني الهندي الى

(١) شعراء الاسلام في هذا الزمن الحديث — احمد شوقي ، ومحمد اقبال ، ومحمد عاكف (في الامة التركية) وثلاثتهم كانت وفياتهم في العقد الرابع من هذا القرن .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

آخر حياتهما . واتفق ان ظهور الاخوين على المسرح السياسي الهندي وطنيا ، كان مصاحبا لنهضة الهند الاسلامية . فأخذا بالعنانين معا . ومعلوم ان نهضة الهنادك ، جماعة المهاتما غاندي سبقت نهضة المسلمين .

والدولة الاسلامية التي جعل مسلمو الهند في نهضتهم يعلقون عليها الآمال ويساندونها في سياستها الاسلامية والعالمية هي الدولة العثمانية فكان مسلمو الهند مع الدولة في حرب طرابلس الغرب (١٩١١ — ١٢) وحربي البلقان الاولى والثانية والحرب العالمية الاولى ، حتى كانوا معارضين للملك حسين بن علي في ثورته على الاتراك ١٩١٦ محالفا الانكليز ضدهم .

ان مولانا محمد علي دخل في اول ادواره في خدمة حكومة الهند ولكن لم يلبث طويلا حتى استقال وانقطع الى الصحافة الهندية الاسلامية وانغمس هو واخوه في الحركة الوطنية الهندية ، فلما وقعت الحرب العامة الاولى ١٩١٤ ودخلتها تركيا الى جانب المانيا تعقدت الامور في الهند من جهة المسلمين نحو بريطانيا ، ومن جهة السياسة البريطانية نحو مسلمي الهند والعالم الاسلامي ، وخاصة لما اعلن الحسين بن علي سنة ١٩١٦ الثورة ، ومسلمو الهند ضد هذا . ولما هزمت تركيا في نهاية الحرب زاد ذلك في الم مسلمي الهند ، وهم كانوا لا يزالون معتصمين بأهدابها لاعتقادهم انها دولة الاسلام . فماذا صنع مسلمو الهند ، وقد لاحت مخططات تقسيم تركيا ؟ انهم الفوا وفدا سموه « وفد الخلافة » برياسة مولانا محمد علي وبعثوه الى لندن وباريس ليحتج على تقسيم تركيا . وكانوا يجمعون الاموال الطائلة باسم « الهلال » عونا لتركيا ـ الدولة الاسلامية . وهذا الوفد الاسلامي الهندي تابع في مجرى سياسته الى « لجنة الخلافة » في الهند جمعاء ، فهي رأس الهرم ، ومعقد الرابطة العليا وبقيت سنين بهذا الاسم ، حتى وبعد صيرورة دولة الخلافة جمهورية علمانية على يد مصطفى كمال ، بعد انتصاره على فنزيلوس واليونان ، وبعد اقتباس القوانين السويسرية المدنية وتبديل الحروف العربية باللاتينية ومدابرة العالم الاسلامي والثقافة العربية .

وامتلاك السيطرة والنفوذ من « لجنة الخلافة » — وهي رأس الهرم — على مسلمي الهند كان شيئا عظيما . اذ كانت ممثلة في المدن والحواضر بالفروع والمنظمات والمكاتب والصحف في طول البلاد وعرضها . هذا دور من ادوار الكفاح الوطني في الهند . وفي هذا كله برزت شخصيتا مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي البروز كله ، وفي نهاية الحرب الاولى الى عقد الصلح مع تركيا في سويسرة سنة ١٩٢٣ كانت الصحف والشركات(٢) العالمية البرقية اذا ما اشارت اليهما تالت على الطريقة الانكليزية « اخوان علي » او « علي اخوان » ، ومن شدة الرغبة في اتخاذ الشعارات الاسلامية انهم جعلوا نظارات العيون زجاجها او بلورها على شكل هلالي . وبقي مولانا محمد علي على هذا الى آخر حياته . وفي خوض الحركة الوطنية سجن شوكت علي ومحمد علي سنتين في الهند(٣) .

فلما جاءت سنوات ما بعد الحرب الاولى ، وقسمت تركيا نظريا ثم حررها مصطفى كمال ، وجزئت الاقطار العربية وفرضت عليها « الانتدابات » لمصلحة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، واشتعلت الثورات في العراق ومصر وسوريا ، كانت الهند الاسلامية كأنها في مقلى على النار . في هذه الآونة التاريخية ، ولا من صلة من قبل بين فلسطين والهند الاسلامية ، او في هذه اللحظة السيكولوجية كما يقولون ، انبثقت الصلة انبثاقا غزيرا وهاجا ، وربطت بين المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين ورئيسه السيد الحلاحل محمد امين الحسيني(٤) ، وبين مسلمي الهند ، وعلى راسهم مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي ربطا دام الى النهاية ، وهذا ما نحن باسطوه هنا بسطا وافيا خدمة لتاريخ فلسطين ، وزرعا لهذه الحقائق في اذهان العرب الناشئين ، وبالله نستعين .

في تلك الفصول الستة المنشورة في « الاديب » سنة ١٩٧٥ (من ابريل الى سبتمبر) وفيها مجمل سيرة السيد الحسيني ووصف كبريات مآثره في فلسطين وفي مؤتمر مكة الاسلامي ١٩٢٦ ، مما نشرناه هناك ، ووصف مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك (الاديب عدد يونيو ١٩٧٥) وصفا يغنينا عن اعادته هنا ولو مجملا .

ونقول انه بعد الشروع في تنفيذ مشروع العمارة ١٩٢٣ شرع المجلس الاسلامي الاعلى ، وروحه المحركة السيد الحسيني نفسه ، يبعث الوفود الى العالمين العربي والاسلامي (والحسيني نفسه كان رئيس وفد مصر ورئيس وفد العراق والخليج العربي وفي هذا الوفد الاخير كان من اعضائه محمد علي علوية باشا وزير الاوقاف المصرية سابقا) لجمع الاعانات والتبرعات ، وكان وفد الهند مؤلفا من الشيخ محمد مراد مفتي حيفا وعضو المجلس الاسلامي ، والشيخ ابراهيم الانصاري من سدنة الحرم الشريف والاستاذ جمال الحسيني سكرتير المؤتمرات الفلسطينية

---

(٢) الى نهاية الحرب الاولى لم يكن في المملكة العثمانية من شركات اخبار برقية سوى « روتر » الانكليزية و « هافاس » الفرنسية .

(٣) راجع ص ١٢٣ من الجزء الرابع المجلد الثاني من « حاضر العالم الاسلامي » — الطبعة الرابعة في بيروت ١٩٧٣ — تجد تفصيلا عن هذا كله وعن الاشارة الى « وفد الخلافة » ١٩١٩ برياسة مولانا محمد علي الى لندن ومؤتمر الصلح ليحتج على تقسيم تركيا . ولجنة الخلافة في الهند عاشت زمنا طويلا كما عاشت كلمة « الوفد المصري » وسعد زغلول ، في مصر ثم « الوفد » و « الوفديين » .

(٤) راجع « الاديب » عدد اغسطس ١٩٧٥ وهذا من فصولنا الستة التي تنطوي على سيرة سماحة السيد الحسيني رضي الله عنه .

الوطنية ؛ فتلقت الهند هذا الوفد برا وترحيبا ، وكان مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي معربين عمليا عن الاخوة الاسلامية اعرابا جعل الوفد يعود موفقاً ، وقد توطدت الصلات بين الهند وفلسطين ، ولكن هذا كله كأنه قذى في عيون الصهيونية . ولما رجع الوفد ظافرا هللت له فلسطين(٥) .

وبينما عمارة المسجد الاقصى المبارك سائرة سيرها الموفق حتى الانتهاء سنة ١٩٢٩ حصل في ١٩٢٦ ان دعا جلالة الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود الى مؤتمر عالم اسلامي في مكة المكرمة للبحث في شؤون المصالح الاسلامية العليا في الحجاز ، ودعي سماحة السيد الحسيني بصفته الشخصية وبصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى عن فلسطين فلبى الدعوة بوفد(٦) واشترك في اعمال المؤتمر ومقرراته اشتراكا تاما ، ولقي وفد الخلافة الهندي(٧) وعليه مولانا محمد علي ومولانا شوكت والسيد شعيب قرشي والعلامة الشيخ سليمان الندوي وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية المليئة . ووفق المؤتمر في اعماله ومقرراته وكان من جملة ذلك ان يعقد كل سنتين او ثلاث سنين مرة ، ولكنه لم يعقد بعد ذلك قط ، بل عقدت مؤتمرات شتى منذ ذلك الحين تداوي اوجاع العالم الاسلامي من نواح مختلفة (راجع مقالنا في « الاديب » عدد اغسطس ١٩٧٥) .

وأما الصهاينة في فلسطين فقد راحوا يحرقون الارم على كل ما اتبعته حركة اصلاح الاقصى المبارك من نوامي الروابط الاسلامية حول فلسطين ، وكانت صحفهم تنفث السم جهارا وبلا حياء ، كان فلسطين باتت لهم . ويؤخذ من مذكرات الكولونل كيش اليهودي البريطاني(٨) رئيس مكتب اللجنة التنفيذية الصهيونية ان ذلك الشعور الخبيث صارت اللجنة الصهيونية تبسطه لحكومة فلسطين في القدس ولحكومة لندن الام . وسنرى عواقب هذا عما قريب . والسيد الحسيني قافلته ماضية قدما في داخل فلسطين والعالمين العربي والاسلامي . اما مشروع عمارة المسجد الاقصى فقد انجز بتوفيق الله وغيرة المسلمين . واستمر مشروع العمارة ست سنوات متواليات الى ١٩٢٩ وهنا دعا السيد الحسيني شخصيات عربية اسلامية من مصر ولبنان وسوريا والعراق والاردن للاحتفال بانجاز المشروع العظيم ، ووفودا من اقطار اخرى ، ووضعت برامج سخية لمدة اسبوع . فأمت الشخصيات والوفود القدس واستقبلت خير استقبال وبقيت الحفلات والخطب والمهرجانات طول الاسبوع ؛ وميادين الحرم وساحاته تعج بآلاف الناس ، فاعتز الشعور وطغى المظهر الروحي الخلاب على جميع الناس كأنهم اسرة واحدة وهذا الاسبوع لا ينسى في تاريخ الحاج محمد امين الحسيني وتاريخ فلسطين وقد مضى عليه نصف قرن تقريبا .

سنة ١٩٣٠ قام مولانا محمد علي بسياحة في الشرق الاوسط وغايته منها دراسة احوال المسلمين عن كثب . ولما وصل الى سوريا لم يجد مضايقة من الفرنسيين كما كان يتوقع ، وخاصة لما علموا انه يريد زيارة فلسطين ؛ ووقتها كان التهويد في فلسطين طاغيا والبلاد تستصرخ من يسرع لنجدتها . وكأن الفرنسيين احبوا ان يرى الزعيم الهندي العظيم ما هو حال بفلسطين من الويل . وقابل مولانا محمد علي المفوض السامي الفرنسي واعوانه مقابلة مجاملة مع حديث موجز ، لبابه موقف فرنسا من العالم الاسلامي .

ابرق السيد الحسيني الى مولانا محمد علي يدعوه

---

(٥) زيادة في توثيق هذه الصلات ، ارسلت لجنة الخلافة مع الوفد الفلسطيني الشيخ حسن الانصاري الهندي (انصاري الهند غير انصاري القدس) ليكون متوليا على زاوية حجاج الهند في القدس مسؤولا ماليا الى المجلس الإسلامي الاعلى ، فاقام الشيخ حسن بمهمته قياما حسنا ومعلوماتنا عنه تنتهي ١٩٤٨ . وفي القدس زوايا اسلامية كثيرة .وبعضها يرجع الى عهد صلاح الدين ، ومن تلك الزوايا العامرة زاوية « أبي مذين الغوث » المجاورة لمكان « البراق الشريف » في الناحية الغربية من جدار المسجد الاقصى المبارك . وهذا الجدار يعتقد اليهود ان مداميكه السفلى باقية من الهيكل الذي بناه لهم الملك هيرودس ، (وهيرودس ليس يهوديا بل ادومي من جهة بئر السبع ٣٧ ق.ب — ٤ بعد المسيح) . ولكن هنا « مربط البراق الشريف » فاتخذ اليهود المداميك السفلى مبكى لهم وسنة ١٩٢٩ كانت الثورة العربية الفلسطينية المسماة « بثورة البراق » لعدوان اليهود على هذا المكان .

(٦) كان مؤلفا من سماحة السيد الحسيني رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى والشيخ اسماعيل الحافظ (من اعلم علماء العصر) مفتش المحاكم الشرعية ورئيس الكلية الاسلامية في القدس ، وكاتب هذه السطور . والشيخ الحافظ هو والد الاستاذ امين الحافظ من ابرز ساسة لبنان ورئيس وزارة سابقا .

(٧) الصحيح ان كان للهند الاسلامية الى المؤتمر ثلاثة وفود : وفد لجنة الخلافة هذا ، ووفد علماء الهند ، ووفد الدعوة السلفية ، والدعوة السلفية هذه تمت بصلة كبيرة الى الحركة الاصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . وعرفت « بالوهابية » بوقتها . وفي «التصويت» على المقررات كان كل وفد وشأنه حسب مجراه الاسلامي .

(٨) هو بالعربية « قيس » وهذا الاسم ورد عند اليهود في التوراة قليلا ، وشاول وهو اول من جعلوه ملكا فيهم اسم ابيه « قيس » . وكيش هذا كان في الحرب الاولى في الفرقة الهندسية في العراق . وبعد الحرب في مؤتمر الصلح كان من اللاصقين بالرئيس الدكتور ولسون الاميركي في باريس ، لصوق العلقة بالجسم لتشريبه المخطط الصهيوني ، فكان كيش من الذين عملوا في هندسة معاهدات الصلح هو ونفر صهيوني ارتدوا اوشحة الخفاء ، او اتخذوا اسماء غير اسمائهم الحقيقية ، وراحوا ينثرون الرقى والتعاويذ الصهيونية حول الرئيس ويلسون الاميركي ولويد جورج البريطاني . ومن سنة ١٩٢٢ — ١٩٣١ كان رئيس المكتب التنفيذي للوكالة اليهودية في القدس وله قصص غريبة تتعلق « ببروتوكولات حكماء صهيون » . وله مذكرات اسمها « يوميات فلسطين » فيها كثير من الخلط والاكاذيب وقد اطلعنا عليها . وهو كان في عمله لما وقعت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ وهنا ارتكب افحش الكذب في يومياته . وفي الحرب الثانية كان في الفرقة الهندسية البريطانية في تونس ١٩٤٢ فقتل بحادث .

بالحاح لزيارة فلسطين ، فاجاب باستعداده للتلبية ليصلي في اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وبينما يستعد الحسيني والمجلس الاسلامي والبلاد لاستقبال الضيف الكبير . وبعد يومين او ثلاثة ، والظن ان لا عقبة من جهة الانكليز المتهودين في القدس ، علمنا ان مولانا محمد علي وصل بسيارته الى الحدود قرب طبريا فمنعه الضابط المسؤول عن الدخول مع انه معه « فيزا » من القنصل البريطاني في دمشق . وعبثا حاول مولانا محمد علي اقناع الضابط ، وظهر انه يهودي . فرجع الى دمشق وهو متحرق ، وارسل الى السيد الحسيني برقية يوجز فيها قصته المؤلمة .

وهنا لا بد من موقف لا تراجع عنه ، حتى ولو ادى الى استعمال العنف مع السلطة المسلحة . والسيد الجسيني من اخص صفاته مواجهة الطوارىء ، بحزم وحكمة وروية ، وسرعة التنفيذ . هذا الخلق فيه بدا يتجلى منذ كان صغيرا في حي آل الحسيني في القدس ، واليهود وقتئذ حثالات متناثرة . فقامت المشكلة مع الحكومة البريطانية اسما اليهودية فعلا في القدس . فعقد السيد الحسيني اجتماعا خاصا جدا ، ومقرراته : اولا — الطلب من ألحكومة المركزية في القدس باسم المجلس الاسلامي الاعلى الا تعارض مولانا محمد علي الزعيم المسلم الهندي في دخوله فلسطين بلا اي عائق على الحدود . ثانيا — ان عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين لا يمجزهم ان يدخلوا هذا القادم الضيف الى فلسطين على اية حال اذا وجب الحال . ثالثا — يحتج المجلس الاسلامي الاعلى على تصرف حكومة فلسطين في هذه القضية فتمنع مولانا محمد علي من زيارة المسجد الاقصى بينما تدخل الى فلسطين كل شهر من شذاذ اليهود تحت اسم الهجرة اليهودية عدة آلاف . رابعا — ان ينتدب رسول من قبل المجلس وسماحة رئيسه واعضائه يذهب الى دمشق لاحضار مولانا محمد علي . خامسا — يذهب وفد الى طبرية على رأسه الشيخ محمد مراد عضو المجلس ورئيس وفد فلسطين الى الهند قبل ٧ سنين وصديق مولانا محمد علي لاستقبال الضيف . واتخذت في القدس وطبريا الاحتياطات اللازمة .

اني لما وصلت دمشق كنت فارقتها في ايلول ١٩٢٠ وما عدت رأيتها قط ، فعجبت من مرض السل في « الاستعمار » الفرنسي . نزلت في فندق متواضع ، واطلقت على نفسي اسم « جورج اللبناني » اذ خشيت ان يخترع لي الامن الفرنسي قصة من اسمي الحقيقي ، واشتريت قبعة اعتمرتها ، وفي الليل عرفت اسم الفندق الذي ينزل فيه مولانا محمد علي ، فاذا به « دامسكوس بلاس » اعرفه جيدا اذ كان نازلا فيه الامير عادل ارسلان وهو « معاون الحاكم العسكري العام » لسوريا علي رضا الركابي زمن الحكومة العربية (١٩١٨ — ١٩٢٠) وما اكثر ما كنا نجعل زيارتنا للامير عادل في مسكنه في فندق « دامسكوس بلاس » في صباح كل يوم تقريبا انا وصديقي الاديب السياسي السفير عبدالله النجار رحمه الله .

فجئت الفندق في نحو العاشرة صباحا ، وسألت اين ينزل عندكم الضيف الهندي الكبير مولانا محمد علي ، فدللت على الطابق والشقة ورقم الغرفة ، ولكنني خشيت ان يكون مني تصرف ما ، يخلق الشبهة بي لما صرت ألمح تغيرا في اوضاع الفندق . فلما وصلت امام الشقة المقصودة وجدت شابا يظهر انه غريب ، واذا قلت غريبا فمعنى ذلك انه « جاسوس » على مولانا محمد علي . وعلى كل سألته بصفتي « جورج وقبعة » : أهذه غرفة الضيف الهندي ؟ فقال نعم . ففتحت الباب واغلقته ورائي بسرعة كي لا يلاحظ « الغريب » الجالس في الكرسي حرارة السلام والقبل ورقص الايدي .

فلما وقع نظر مولانا محمد علي علي ، فاذا به يصيح من عمق قلبه يا حبيبي فلان كيف الله ارسلك الي وانا في مشكلتي مع الحكومة اليهودية في فلسطين . وتعانقنا ، وكان ضم الى الصدر ، وحركات كثيرة كلها من حرارة البهجة . فقلت له علي في نصف ساعة ان استمع الى « القصة » من جهتك ، ثم تستمع الى « القصة » التي انا حاملها لك من القدس . فكان كل هذا ، ثم رجوت منه اننا نيمم وجوهنا شطر فلسطين صباح غد ان شاء الله ، وما عليه الا ان يهيىء حقيبته . فسألني اين تمضي الوقت انت ؟ فأجبت (وكنت اخبرته عن اسمي المنتقل الى «جورج» وان القبعة بدلا من الطربوش) اني ساقبع في الفندق ولا اخرج ، وفي المساء اهيء طعاما للطريق وماء . فقال كل هذا حسن وحتى لا يطول مقامك عندي الآن ، فهذا الشاب الذي في المشى جاسوس السلطة الفرنسية علي ، فانتبه .

فما كدت انهض لاودعه الى صباح اليوم التالي ، حتى فتح الباب ، فتحه الشاب الجاسوس ، ودخل فورا ضابط فرنسي كبير ويظهر من شاراته العسكرية انه عالي الرتبة ، فتنحى عني جملة مولانا محمد علي وسلم على هذا الفرنسي العسكري الكبير سلام الاحترام وهو في السرير ورجا منه الجلوس في المقعد الافضل عنده ، ثم قال لهذا الضابط الكبير : هذا الشاب « جورج » من لبنان ولقيني في بيروت يطلب مني مساعدته في تعليمه ، وجاءني اليوم من بيروت ولا ادري ماذا جد في امره . ثم التفت الي وقال : انتظر يا جورج في المشى حتى ادعوك ، وقال هذا بلهجة السيد لخادمه ، فاظهرت الطاعة ونهضت وخرجت وجلست الى جانب الجاسوس الذي فتح الباب للضابط الكبير . جلست وما حدثته بشيء . وانا قبعتي على رأسي ، جالس رهن ما يصدر لي من اشارة بعد . فسألني الجاسوس : وما علاقتك بمولانا محمد علي ؟ فقلت من حسن حظي اني عرفته في بيروت لامر يتعلق بي فقصدته اليوم ليتممه لي . فمشى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحال بجورج والقبعة . وبقي الضابط الكبير عند مولانا زهاء نصف ساعة ثم خرج ، فهب الجاسوس لخدمته اذا كان هناك من خدمة ، ومضى الضابط الكبير . وعاد الجاسوس يجلس في كرسيه المجاورة لكرسيي . واذا بجرس من غرفة مولانا يرن فاسرع اليه ، فقال له مولانا : قل للشاب جورج ان يدخل علي ، فبلغني هذا ، فقمت ودخلت واغلقت الباب بسرعة .

فقال : هذا مدير الامن العام الفرنسي ، يزورني كل يوم تقريبا ، وهو يعلم بقصة عودتي من الحدود ، وانتقد السلطة البريطانية على ذلك ، وسالني ماذا انا فاعل ، فقلت له ان وردتني برقية من صديقي المفتي رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين (والضابط هذا وهو مدير الامن العام لا شك انه يعلم بورود هذه البرقية من المفتي يعلم ذلك من المخابرات التي هو يرئسها) يقول لي فيها ان اتوجه الى فلسطين ، فقد حلت مسالتي مع الحكومة حلا ايجابيا لمصلحتي . وذاهب غدا صباحا ومعي هذا الشاب « جورج » الذي ساساعده في تدبير عمل له في فلسطين فهو فقير يتيم .

الى هنا ، لم ينكشف اسمي الحقيقي بعد ، ان بادعائي « الجورجية اللبنانية » واعتماري القبعة ، لم تقع حاجة لاسائل اين جواز سفرك . وانا لست اريد التجول في المدينة . فشكرت مولانا محمد علي على ذلك وودعته الى الصباح واخبرني اننا ونحن في الطريق يفصل لي ما جرى له على الحدود . ورتبت الامر مع سائق السيارة التي اتت بي من القدس وبها نعود صباح غد مع مولانا الضيف العظيم ، وبالله التوفيق . ولكنني في الليل ارسلت برقية الى السيد الحسيني بتوقيع مستعار اننا غدا قادمون .

ركبنا السيارة صباحا متوكلين عليه تعالى . قصة الحدود : قال مولانا محمد علي ونحن في السيارة ، وهو يظن نفسه كأنه على منبر نهر الاردن وامامه الوف المسلمين ، منذ يومين : ولا بد ان يكون ضابط الحدود يهوديا ، فلما وصلت « النقطة » ابرزت له جواز سفري وظننت اني من الذين لا يتوقفون في ذلك المحل غير ما هو لازم للنظر في جواز السفر « والفيزا » ، فاذا به لما فتحه وقرأ اسمي ، انبرى الى لائحة عنده فنظر فيها ، ثم اغلق جواز سفري ورده الي معتذرا عن عدم السماح لي بالدخول لاني ممنوع بتعليمات من الامن العام المركزي في القدس ، فعجبت منه ودخلت معه في مناقشة حادة . وصعدت صخرة الى جانب النهر وخطبت مخاطبا النهر ، ومما قلته ، اني سادخل فلسطيني انا محمد علي المسلم واصلي في المسجد الاقصى .

وكان هناك شرطي فلسطيني مسلم من شرطة « النقطة » سمع مولانا محمد علي وهو يخطب على صخرة النهر . فلما وصلنا هذه النقطة جاء هذا الشرطي وراح يقبل يدي مولانا محمد علي ويبكي من شدة تاثره ، وقال لي : اول امس هنا كدت اطلق النار على ضابط النقطة وأغر ، فكان موقف مستثير للكرامة العربية كل الاستثارة . فهذا مولانا محمد علي زعيم الهند يمنع من دخول فلسطين !

في طبريا ، وجدنا الجموع المتراصة بالانتظار على راسها الشيخ محمد مراد عضو المجلس الاسلامي الاعلى من قبل السيد الحسيني والمجلس ، وهو صديق مولانا الضيف كما تقدم غير مرة ، ومن طبرية الى القدس المسافة ١٧٥ كم كان اهل المدن والقرى يقفون في الطرق ليحيوا رتل السيارات ومولانا الضيف في مدى نحو اربع ساعات حتى الوصول الى القدس وهو يرد تحيات الجماهير وسلامهم ويقرأ في وجوههم البشاشات رجالا ونساء وحتى اطفالا . فلما وصلنا الى بيت سماحة المفتي السيد الحسيني الذي بجوار المسجد الاقصى ، وهو من الابنية الضخمة القديمة من عهد دولة المماليك المصرية ، وجدنا جمهورا عظيما بالانتظار ، فكان لقاء اخوي صميمي حار بين « الاخين » ، الحسيني ومولانا ، ولم يجتمعا منذ ١٩٢٦ منذ مؤتمر مكة المكرمة ، وامتلأت ردهات المنزل كلها بوفود المسلمين المرحبين من الشعب . وخطب مولانا محمد علي في هذه الجماهير ، في بيت سماحة المفتي ، خطبة تدعو الى الوحدة في الاخوة الاسلامية قال فيها ما معناه بالحرف تقريبا :

« لو علا الانسان في الجو كثيرا وصار ينظر الى يابسة الكرة الارضية ، لرأى خيوطا اشبه بدروب النمل ، شادة رحالها من مختلف المواطن والبلدان المعمورة نحو نقطة معينة مقصودة لذاتها ، ووجد ان تلك الدروب كلما طال بها السير جعلت تتقارب وتتدانى كأنها تبتغي ان تحيط بتلك النقطة المركزية المعينة . تلك الدروب والطرق هي لعمري طرق الحج وقوافله الى مكة المكرمة . فالمسلمون خلقوا ليتآخوا ، وفي مكة ملتقى جامعتهم ورابطتهم . وبيت المقدس بعد مكة في القداسة ، وفلسطين قضيتها قضية المسلمين جميعا ، ولكن علينا ان ننقل خططنا من حيز القوة الى حيز الفعل وما جئت الى هنا الا لبحث هذه الوسائل مع اخي وحبيبي سماحة المفتي » .

بقي مولانا محمد علي في القدس ضيفا على سماحة السيد الحسيني بضعة ايام تداولا فيها في عدة امور اهمها عقد المؤتمر الاسلامي العالمي في اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وكان قد بدأ التفاهم بينهما حول هذا وهما في مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦ . وكان من المقرر ان يشهد المؤتمر ويشترك فيه مولانا محمد علي واخوه وغيرهما من زعماء مسلمي الهند . وفي ذلك الوقت كان اقتراح عقد مؤتمر المائدة المستديرة لقضية الهند في لندن ، اخذ يروح ويجيء في الاندية السياسية البريطانية والهندية ، وفكرة التقسيم وانشاء دولة باكستان كانت وقتها في عالم القوة ، او عالم الفكر والاماني .

وصلى مولانا محمد علي في المسجد الاقصى ومسجد

ديـــانـــا

ديانا يــا أحب الناس وجها   والطف ما رأت عين البصير
ذكرتك والربيع الحلو تلهـو   زنابقه علـى هـزج الغدير
فما حفلت بغير شذاك روحي   ومـا ارتقبت سنا أفق منير
كـان الله صاغك مـن اريج   ومن ألـق الكواكب والبدور
جفونك مـا فراشات الروابي   فطيري للروابي الخضر طيري

وديع ديب

الصخرة ، وراقه جدا الى ما فوق الاعجاب عدة امور : فأولا عمارة المسجد الآقصى ، وثانيا فنـون الفسيفساء الخلابة في مسجد الصخرة ، وكلاهما داخل الحرم القدسي الشريف بساحاته الرحبة . وثالثا نهضة المسلمين في بيت المقدس وفلسطين جمعاء . ورابعا استعداد اهل فلسطين لمواصلة الجهاد في سبيل بلادهم لتنجو من اخطار اليهود والصهيونية . ووعد باعتباره زعيما مسلما هنديا العمل في هذا كله .

وكانت هذه الزيارة جليلة ، وشرع السيد الحسيني في الاعداد للمؤتمر الاسلامي العالمي في القدس (راجع مقالنا الوافي حول هذا المؤتمر في « الاديب » عدد سبتمبر ١٩٧٥) .

واننا في الفصل التالي سنأتي على ما جرت به التقادير من ذهاب مولانا محمد علي الى لندن ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة هو واخوه مولانا شوكت علي وزعماء آخرون ، فتوفي هناك كما اننا سنذكر كيف الهم سماحة الحسيني ان يقترح على مولانا شوكت علي نقل جثمان فقيد الاسلام العظيم الى فلسطين ليدفن بجوار المسجد الاقصى المبارك ، وهو ثاني مسلم يدفن بجوار المسجد الاقصى اذ كان قبله بقليل دفن هناك الملك حسين بن علي رحمه الله . وكما سبقت منا الاشارة الى ان هذا كله من تاريخ فلسطين الحبيبة الغالية ، وقـد تكسف الشمس لتحيط الظلماء بالارض ويختل توازن الكائنات قبل ان يستطيع الصهاينة ابتلاع فلسطين .

ملحق بهذا الفصل : ذكرنا مرارا ان مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك ، كان عظيما ، ونقول ان هـذه العظمة هي « فنية » وتمثل عبقرية المهندس الذي قام على ست سنين من ١٩٢٣ — ١٩٢٩ بتنفيذها المهندس كمال الدين من اخواننا الاتراك ، ومعه لجنة هندسية من فحول المهندسين فيهم المهندس رشدي الامام الحسيني . والمشروع موضوعه قبة المسجد الاقصى التـي صلى تحتها الفاتح صلاح الدين هو وانصاره واتباعه بعد الفتح ، فقد ثبت ان الوهن قد تطرق الى اسس الزوايا الاربع التي عليها القبة الكبرى . وهذا الوهن الناشىء عن طول الزمن والزلازل اذا لم يتدارك فيصل الوهن الى القبة نفسها فتختل قليلا او كثيرا . فخطط المهندس كمال الدين ان يبتدىء من موضع الاساس ، فينزع منه حجرا ليركب محله حجرا جديدا ، وهكذا وهكذا حجرا بعد حجر في اسس كل ركيزة مـن الركائز الاربع حتى يتناهى هذا التبديل والتغيير عند قواعد القبة ، العالية ، دون ان يلحقها اي ضرر في ثباتها علـى الركائز . فلما كان سماحة المفتي يشرح هذا لمولانا محمد علي قال : الله اكبر ! ما اروع هذا وكرره . والمهندسون البريطانيون في فلسطين كانوا يرفعون قبعاتهم اعجابا بهذه العبقرية ، ولا سيمـا المهندس مستر ريتشموند مساعد السكرتير العام لحكومة فلسطين وله كتاب عـن مسجد الصخرة وقبته عنوانه « قبة الصخرة »
«The Dome of the Rock»

رأس المتن — لبنان   عجاج نويهض

محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

ذكرى عزيزة

في حياة الناس ذكريات ..

ومن الذكريات البارزة في تاريخ امتنا العربية ذكرى (مولد الرسول الكريم) ، التي تهل علينا كلما قارب الشهر الثالث على الانتصاف من كل عام هجري .

انها ذكرى اليوم الاغر ، يوم الثاني عشر من ربيع الاول من كل عام ، تعيد الى النفس ذكريات ، كما تعيد الى الاذهان صورا اخاذة من تاريخ هذا الرجل العظيم .

وان هـذه الصور تتوالى في مواقف عديدة مـن حياتـه ..

فهـا هوذا يستقبل ولـده ابراهيم بالحب واللهفة والحنان ، وقد اخذ يدرج مع الحياة ، وهو يرى فيه امتدادا لوجوده ، وتكرارا لماضيـه . فيشعر بالسـعادة غامرة فياضة ، كلما قبل وجنتيه وضمه الى صدره ..

ويشاء الله ان يصيبه المرض ..

ثم تشتد عليه العلة ، حتى لتزداد يوما بعد يوم ، وما هي الا ايام معدودات من بعد ، حتى يوافيه الاجل .

فيتجلد الاب المحزون امام ذلك المصاب . ويصبر لمشيئة الله وقدره .

ويحدث ما لم يكن في الحسبان ..

فقد كسفت الشمس في ذلك اليوم كسوفا ظاهرا . تنبه اليه الناس واسترعى اهتمامهم ، ودار بينهم همس لم يلبث ان استحال الى كلام ، واذا بقائل يقول : انما كان كسوف الشمس حزنا على الصغير الحبيب الراحل .. ابراهيـم !!

وينتهي ذلك الكلام الى الاب المفجوع ..

فاذا هو يتخلى عـن مصابه ، ويسارع الى القوم ليجلو لهم الحقيقة ، فقد كانت الحقيقة احب شيء الـى نفسه . ويقول لهم بالصوت الجهير بما معناه : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت احـد ولا لحياته ، فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة .. » .

وها هوذا يخرج مع قومه مجاهدا في سبيل الله ..

وينفد منهم الماء ، وتضيق عليهم السبل ان يجدوا موردا ، ثم يشتد بهم الظما دون ان تلوح لهم بارقة من رجاء ، وكاد يستولي عليهم اليأس حين انعقد الضباب ، وهطل المطر غزيرا وكانما هو ينصب من افواه القرب . فشرب القوم ، وسقوا دوابهم ، وملاوا اوعيتهم وقـال قائلهم : « انما هي معجزة .. » !

وسمع القائد المظفر بما قالوا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلم يتوان عن الرد على اولئك القائلين ، دون ان يسكت على ما يأباه العقل ويرفضه المنطق ، وهو حليف العقل والمنطق في كل ما جاء به وصدر عنه ، فاذا هـو يقول : « انما هي سحابة مارة .. » !

ذلك هو النبي الصادق ، الذي كانت دعوته تقوم على الحجة البالغة ، ولا يطمئن بها لغير ذلك ، مما يلجأ اليه المبطلون من دجل ، او تضليل ، او نفاق ..

انه رسول الله صلوات الله عليه ..

الذي عبرنا بذكرى مولده من قريب ، والذي استطاع في سنين معدودات ان يصنع من الخلاف والفرقة جماعة متماسكة ، تقف صفا واحدا كانه البنيان المرصوص .

كما استطاع ان يوجد من الضعف والخذلان قـوة جبارة ، تتحطم في وجهها جميع قوى الباطل والجبروت ، وتلك كانت معجزته ، وحسبه بهذه المعجزة فخرا .

هل يطول الانتظار ؟!

كانت تستعرض بين يديها مجموعة صور ..

واخذت تمعن النظر في كل واحدة منها . وتقلبها بين

يديها . وهي تتجاوز الواحدة منها الى الاخرى . انهم ابناؤها وبناتها ، تتحدث صورهم عنهم يوم كانوا صغارا . وهم اليوم فتيان وفتيات ، يملأون البيت عليها كتبا وضجيجا ومرحا .

وتصل يدها الى صورة كادت تمحو ملامحها الايام ..

ويطل من الصورة وجه ضاحك ، لطفلة بريئة ما تزال في ايامها الاولى ، ثم تطالعها على ظهر الصورة ابيات من الشعر ، طالما إعادت قراءتها المرة تلو المرة ، ومع ذلك فهي تمضي ترددها بصوت خافت :

برزت في قبة الافق الفسيحة	وتعالت تظهر السخط مشيحة
سالوها : ايها الشمس قفي	خبرينا ، قد عهدناك صريحة
فاجابت : ويحكم من معشر	قد جهلتم علة الامر الصحيحة
كيف لا يغضبني اني ارى	بيتكم شمسا بدت تدعى سميحة

لقد كانت هي سميحة تلك الطفلة البريئة ..

وطالما حدثها ابوها انهم احتفلوا بميلادها يوم ولدت في مدينة الرملة والزمن ضاحك ريان ، والناس هناك اعزاء في اوطانهم ، تفيض عليهم الارض بخيراتها ، ويعطر الآفاق من حولهم زهر البرتقال في البيارات ..

بل طالما رددوا على مسامعها :

ان الاصدقاء من حولهم شاركوهم الفرحة بميلادها ، وكان بين هؤلاء الاصدقاء شاعر ، ابى الا ان يسجل فرحته شعرا قاله ابن ساعته ، وكانت منه هذه الابيات .

ثم عادت اليها الصورة ذكريات طافحة بالمرارة ..

انها ذكريات التشرد والغربة والضياع ، ذكريات الخروج من الوطن ، وتركه للغاصبين يعيثون فسادا في ارجائه ، ويمحون فيه كل اثر من آثار اهله الذين اسلموه ، وخرجوا يهيمون على وجوههم في الآفاق .

وتذرف المرأة دمعة لم تستطع امساكها ..

انها لوعة الحنين الى الوطن ، وقد اصبحت احلام العودة اليه ، يكتنفها من ضباب اليأس الذي لا حدود له ، ما يجعلها تغيب في ثناياه حتى لا تبدو لها معالم !

ويدخل على المرأة ولداها ..

ويلمحان في يدها تلك الصورة ، التي اثارت في نفسها الشجون ، وانهما ليعرفان من قصتها مثل الذي تعرف ، ويعرفان كذلك ما تردده عصابة الارهاب هناك صباح مساء .. !

فيقول احدهما :

لا تيأسي يا امي ، ولا تصدقي مزاعمهم ، انهم سوف يذهبون الى غير رجعة ، حين ينهض اليهم من ابناء امتنا ذلك الرهط المؤمن ، الذين يرددون بملء افواههم :

« ان الذي يؤخذ بالقوة ، لا يسترد بغير القوة .. !! »

وتنظر اليه امه ولسان حالها يقول :

ترى هل يطول بنا الانتظار ، حتى ياتي هؤلاء الابناء من امتنا ؟!

تحيات غالية جدا !

انه معلم .. عرفته معرفة الصديق ..

وقد افنى جانبا كبيرا من عمره في مهنة التدريس : وكان من طلابه — على تطاول الايام — التاجر ، والنائب ، ورجل السياسة ، وصاحب المهنة في مختلف مجالات المهنة .. وكان بين طلابه من بلغ مرتبة الوزارة والسفارة . وهو يذكرهم جميعا ، وكثيرا ما لقيته فحدثني عن غرائب ما يصادفه معهم ..

وذات يوم :

استوقفني — وعلى وجهه طيف ابتسامة — وهو يقول لي :

هذه المرة سوف احدثك بالعجب العجاب !

فقلت : ارجو ان يكون خيرا ، فما هو ؟!

قال : لقيني واحد من طلابي بعد غيبة طويلة ، وسلم علي سلاما حارا ليس بعده ولا قبله من مثله ، وسالني عن صحتي ، وعن احوالي .. ثم عن ابنائي . وعرف في نهاية ذلك ، ان واحدا منهم يدرس في الخارج ، وقد ذكرت له مكان دراسته ..

وهنا ، شد على يدي ليقول لي :

انني اعمل سفيرا حيث يدرس ولدك .. !

ومر بي حين من الدهر ..

واذا بوزارة الخارجية تسألني عن عنوان ولدي واضحا حيث يدرس ، فقد طلبته سفارتنا هناك . وقدمته اليهم دون ان يخامرني شك بانه تدبير حكيم ، لضمان ابنائنا والعناية بشؤونهم ..

وتلقى ولدي — بعدها — في مركز دراسته البعيد جدا عن العاصمة مكالمة من السفارة ، تطلب منه ان يكون عندهم في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم كذا ..

وتصارعت في ظنه الاحتمالات ..

اتراهم قد عرفوا عن تفوقه في كليته مع نهاية العام الفائت ، فهم يريدون ان يشجعوه — او ربما يكافئوه ! — على تفوقه .. ؟!

من يدري ..

ربما كانوا كذلك !! اذن فهم الساهرون علينا

الى الآتين بعدي

اذكروني ايها الآتون بعدي ... اذكروني شعلة للسائرين
كلما نادني مناد يبتغي ... سدرة الحق وهدي العابرين
كلما هب بشير داعيا ... يشرع العدل بدرب الظالمين
انني حرف ندي فاغم ... آمل ان يستثير الحائرين

اذكروني ايها الآتون بعدي ... اذكروني ضبوة للمنشدين
اذكروني نغمة لا تنتهي ... تفدق السلوى على القلب الحزين
كلما رف نسيم عابث ... ينقل النجوى وآهات الحنين
كلما غنى مغن للهوى ... اذكروا اني رفيق المتعبين

اذكروني ايها الآتون ، اني ... للجمال الثر مهوى الحالمين
اذكروني نفحة للخير تبقى ... عبوة تشفي نفوس العابثين
أسكب الفن حروفا ، ضوعها ... آهة ، ترجيع آه الآخرين
كم أمني النفس ان تبقى هوى ... دافقا ، مثوى قلوب العالمين

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ نحن الطلاب ـــ من حيث لا نعلم !

واعد نفسه للامر بكل ما يستطيعه من جهد ..

فقد مضى الى السوق ، ليشتري ـــ وبكل ما بقي معه من نفقة ذلك الشهر ـــ ملابس جديدة ، تليق بتلك المقابلة الهامة ، ثم مضى الى الحلاق يهذب من شعره ـــ والحلاق عندهم شيء غير الذي نعرفه !! ـــ ويتحمل ما يكلفه ذلك عن طواعية ورضى ترقبا لذلك اللقاء ..

وقبل موعده المترقب بيوم :

عطل دراسته في الكلية ، وركب القطار الى العاصمة. ووصلها بعد رحلة طويلة ، وحين ادركه المساء ، كان قد نزل في احد الفنادق هناك ، ونام ليلته الوادعة ، تداعبه الاحلام الضاحكة .

وفي صباح يومه التالي :

تذكر انه يعطل الدراسة في كليته لليوم الثاني ، ولكنه استهان بذلك حيال ما كان يتوقعه هناك .. !!

وخرج من الفندق ملهوفا ..

وقد امتلأت نفسه بالاماني الضاحكة ، التي صحبته اياما ، ثم استأجر سيارة تحمله الى حيث الهدف الذي جاء من اجله ، مستهينا بكل ما تحمله من جهد .

وفي تمام الساعة العاشرة :

فتح باب السفير ، فاذا هو يستقبله مرحبا ، ثم اذا هو ـــ من بعد ـــ يهش له متوددا وهو يقول :

« انني من طلاب ابيك .. ارجو ان تبلغه تحياتي .. !! » .

واعتبر ذلك مقدمة لما سوف يأتي ..

وجلس بعدها ينتظر المفاجأة ، ولكنه طال به الانتظار دون ان تكون هناك مفاجأة ، فلم يجد بعدها بدا من الانصراف ، لكي يعود ادراجه من حيث اتى .. !!

والتفت الي ذلك الصديق ليقول لي اخيرا :

ارايت اعجب من هذا ؟!

انها تحيات .. ولكنها تحيات غالية جدا ..!!

عمان ـــ الاردن — محمد سليم رشدان
ص.ب ١٧٥٥

الدكتور احمد زكي ابو شادي

مع ابي شادي في ديوانه من السماء

بمناسبة ذكراه الثالثة والعشرين

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

كل ما علاك فاظلك فهو سماء . هذا بعض التفسير اللغوي لهذه اللفظة « السماء » ولكن صاحب الديوان اراد بهذه التسمية سماء الروح ، لان السماء مسكن ارواح الابرار كما يفسرها البعض . والإنسان من هنا ، ابن السماء ، كما هو ابن الارض ، فهو قد يسمو حتى يكاد يكون ملاكا ، وقد يسفل حتى يكاد يكون شيطانا .

وابو شادي حين التجأ الى السماء كان هاربا ، ظنا منه ان الملجأ هناك هادىء نقي وامين :

ما عشقت السماء الا هروبا ... من حياة تعج بالآثام

ولكن امه الارض لم تمهله ، بل سرعان ما عاتبته :

قالت الارض اي عطر لديك ... سكبته السماء في راحتيك

اي شعر لها فتنت به الا ... ن ، ولم اعطه سخيا اليك

ما جمال السماء الا جمالي ... انسا اودعته قديما لديك

ويقر شاعرنا بهذه الحقيقة ، ولكنه يبرر فعلته بقوله :

ما عشقت السماء الا هروبا ... من حياة تعج بالآثام

انت من انت رحمة بالبرايا ... وهمو من همو بهذا الخصام

الدماء التي اباحوا دمائي ... والسلام الذي اراقوا سلامي

ولكنه حين لم يجد في السماء سلاما ، وحين وجد الملجأ الذي ظن انه هادىء طاهر وامين ، ضاجا صاخبا ، هو الآخر . اذ كان النضال فيها يزري بذاك النضال الذي فر منه هربا . . . عاد مثخنا بالجروح :

فتغنيت عائدا بالمآسي ... وكاني اعود عود المسيح

ولثمت الارض التي باركتني ... وانطوينا على فؤادي الجريح

هذه هي خلاصة هذه القصيدة ، وهي اولى قصائد الديوان وعنوانها هو عنوان الديوان نفسه . لان الشعر على اي حال طبع وموهبة ، كما يقول ابو شادي في مقدمة ديوانه ، لا بهرج وصناعة . بل عقيدة فنية يسعدني ان اقدم هذا الديوان المتواضع احد قرابيني لها .

ولكن الشاعر لم يلبث ، حين عاد الى امه الارض ، ان عمد مرة اخرى الى الهربان . فهكذا الشاعر دائما ، ما ان يعود من تيه بعيد حتى يعاود الرحيل الى تيه ابعد . . اما تراهم في كل واد يهيمون !

غير انه لم يهرب في هذه المرة الى السماء ، كما فعل في المرة السابقة . فقد خيبت السماء ظنه . بل كان المهرب في هذه المرة البحر ، ليهيم على سطحه يسرح بصره هناك وهنا حيثما يدغدغ مشاعره نشيده الساحر ، وتشجيه امواجه الراوية قصص الحياة لساكن ولعابر ، فيصغي الى لحن الخلود دون ما كلل او ملل ، ويتقاسم الاحلام هو ونجيه البحر ملء الخيال ويتبادلان الاحساس بين المشاعر ، الى ان يثور الشاعر . وابو شادي نادرا ما يثور ثورة عارمة ، كما يقولون ، ولكنه ثار في هذه المرة فابدع :

لغة الجمال طلاقة بل ثورة ... والفن يعبد في الجمال الثائر

ولا ادري لم وضع تنوين بفتحتين على لفظة « ثورة » فحقها هنا الضم ، وذلك بالتأكيد من اخطاء الطباعة .

(. . . . .

. . . .)

وحين يفلسف ابو شادي الزمن ، يذهب معه في رحلة طويلة بعيدة الى السماء . واذ يرجعان بعدها عبر عصور طويلة ، من خلق وابداع ولذة وشقاء وراحة وعناء . يراجع ابو شادي حساب هذه الرحلة الشاقة الطويلة مع صاحبه :

من السماء رجعنا بعد رحلتنا ... وبينها من عصور الخلق نظار

فقلت للزمن المرموق يا زمني ... الم تشبك كشيبي اليوم اسفار

اما سلمت من الاجرام عابثة ... ومن شموس لها قصف واسمار

ومن تجاريب في الابداع طائشة ... رهن الملايين لا تخبو لهـا النار

فهو يعجب للزمان ، كيف يصبر فيحتمل كل ما يراه في سيره عبر هذه الحياة من امور تشيب الراس وتطيش عقل الحكيم . فكما على الارض ، كم ضرب اناس باقدامهم الوقحة سطح هذه الارض البسيطة بخيلاء وكبر . ولكن

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الارض تضمهم ، مع ذلك بحب وحنان . يا ويحهم ذهبوا . فاين هم الآن ؟! كما يحدث هذا على سطح الارض ، يحدث على سطح البحر مثله . فكم جذف الوقاح على سطحه بمجاذيفهم يضرب بها شاب قوي الساعد مفتول العضل سطحه الهادىء بضربة قوية تشق سطحه شقا . ولكن البحر مسامح كريم سرعان ما يلأم جرحه فيعاود سيره . وكأن امرا لم يكن . وما كان الانسان كذلك ولا يمكن ان يكون ، على الرغم من وصايا انبيائه . فقد قال السيد المسيح : «من ضربك على خدك الايمن فاعطه خدك الايسر» وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعلني مظلوما ، لا ظالما » . ولكن ايمكن لانسان ان يكون اليوم كذلك ؟ وهبه صار كذلك ، اتراه يقدر على العيش بسلام بين الذئاب من اخوته ؟!

لم تضرب الموج بالمجذاف معتبطا الا وفي الموج للمجذاف آثار
وكم تجاريب من طيش ومن نزق مثل الكواكب قبل الموج تنهار

وفي الحساب مع الزمن يتلهف الانسان على ماضيه ويزداد اليه حنينه ، فذكراه قد تجعل من ذلك الامس القاتم ، يوما مضيئا مشرقا ، وكأنه يفاخر به حاضره ، وان كان الحاضر ، هو الآخر ، مضيئا مشرقا .

قد مجدتها جميعا وهي فانية كذلك الامس ، مهما ساء ، يختار

الى هنا ، ونحن في القصيدة الثالثة من الديوان . فبعد رحلته في قصيدته الاولى الى السماء ، ورحلته في قصيدته الثانية مع البحر . رحل في هذه المرة رحلة طويلة وشاقة مع الزمان . وقد يطول بنا الامر لو اتبعنا الرتابة في القراءة قصيدة بعد قصيدة . وعليه فلننتقل الآن من هذا الشعر التأملي ، الى الشعر الواقعي اللاصق بالارض كهذه القصيدة مثلا التي ، وان كانت غير مستساغة اليوم ، فقد كانت على التأكيد مستساغة ، بل مما يجب ان يقال في ايام مضت . وهذه القصيدة تحت عنوان « تحية المليك » نظمت بمناسبة اهداء الدكتوراه الفخرية الى الملك فاروق الاول من جامعة الاسكندرية اثر افتتاح كلية الطب فيها يقول في مطلعها :

مولاي رحبت الثقافة وانتشت بالمهرجان مدينة الاسكندر
وتالق اليوم السعيد بشمسه فكانها سارت بموكب قيصر
وتردد الانفاس من انفاسنا بحفاوة لم تجتمع في منظر
بالفاتح الملك الابي وحسبه بين الملوك حفاوة لا تمتري
وشمائل في البر بين رعية عشقته واستوحته للآتي السري
واضفت انت الى جلالتها غنى بجلالك الحر النبيل الخير

ولا اقصد من الاشارة الى هذه القصيدة سوى الذكرى التاريخية للموضوع ، بمناسبة رحلته مع الزمان ، وكيف ان ابا شادي قد خانته حتى فراسته في تقلب الزمن . فأين هو الآتي السري الذي استوحته له رعيته العاشقة ؟!

وللغرض نفسه اشير الى قصيدة اخرى مرفوعة الى الملك كذلك وعنوانها « الموتى المشردون » دافع فيها ابو شادي بحماس بالغ عن ابناء الشعب العاملين بداب جاد مهلك من اجل لقمة العيش « في حين ان الاقطاعيين يملكون على قلتهم ، كما يقول الشاعر ، معظم ثروة الامة حينما الاغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين » :

مولاي حب الشعب اعظم ثروة لك من كنوز التاج والسلطان
كن انت رائده ووزع ارضه لبنيه كالفاروق في الاحسان
ما شان آلاف الفدادين التي هي كالمقابر للسواد العاني
ذهبوا بارجاء البلاد تشردا وتكفنوا بمذلة وهوان

ولا ادري ، مرة ثانية ، لم استعمل تنوين بفتحتين على لفظة « ثروة » في حين ان حقها هنا هو « الكسر » وهذا على التأكيد من اخطاء الطباعة كذلك .

ويحيي الشاعر في قصيدته الموسومة بـ «نجوى العيد» حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا في حفلة الغداء التي اقامها رفعته تكريما لاعضاء المؤتمر الطبي العربي الخامس جاء فيها :

يغضي ويطرق كالارباب معتكفا وذهنه عالم هيهات يقتحم

وهذا البيت يذكرنا حتما ببيت الفرزدق :

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

وان كان شاعرنا مال الى تغيير بعض المعنى فيه . فكلا البيتين قيلا في « علي » لان الفرزدق كان يشير في بيته الى الامام علي زين العابدين بن الحسين ، وابو شادي اشار في بيته هذا الى الدكتور علي ابراهيم باشا رئيس المؤتمر الطبي الذي قدم باقة زهر للنحاس باشا حينذاك . ثم ان قصيدة شاعرنا هي قصيدة الفرزدق ذاتها وزنا وقافية وايحاءا . يقول الفرزدق :

فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول ابو شادي :

هذي العروبة في ناديك سامقة وان يرجى حجاك العرب والعجم

ويعرج ابو شادي في القصيدة نفسها الى الملك فاروق ايضا فيقول :

انا امنا بظل من رعايته ففي رعايته عدل لمن ظلموا
والعدل ليس بعدل في جلالته ان لم يعمم ، وهذا عدله عمم
عمر مديد من الابداع رنقه اجدادك الغر من شادوا ومن فهموا
وزدته انت تدعيما وتزكية فمن مبادئك الدولات تدعم

وان كان للمرء ان يعلق اليوم على ذلك ، فليس غريبا ان يتذكر قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد

ولو ان لفظة الصداقة هنا قلقة في هذا الموضع ، لان الصداقة بين المرء وعدوه شيء ، والاضطراد الى مجاملة العدو ومداراته ، شيء آخر . واذا ما جازت في الغزل ، مثلا ، مقولتهم « اعذب الشعر اكذبه » فهي غير جائزة ، على ما ارى ، فيما نحن فيه . فللشاعر مندوحة ، في موقفه هذا على الاقل . عن ذلك . وهو غير مضطر اليه ولا مجبر عليه . ما دام الشعر « عقيدة » فنية ، كما يقول ابو شادي . فأين هي العقيدة والفنية فيما مر معنا ؟! وفي سبقه الشعراء جميعا قبل النجوم ليفوز باسماع جلالته مدحه اياه :

فسبقتهم كيما افوز بسمعكم   قبل النجوم ولست بالمستغفر

ومع تقديري العميق لابي شادي ومودتي الصادقة له، يحز في نفسي عدم اتفاقي معه في هذا مضطرا . فالتجرد عن الصلات الشخصية في النقد الادبي امر حتمي لكي يتعامل الناقد مع النص وليس مع قائله ، بروح المتجرد عن كل صلة شخصية . فيمدح حيثما يجب ان يكون المدح ، ويذم حيثما يجب ان يكون الذم .

ومما يلفت النظر هنا انه قد بدا قصائده كلها بلفظة « مولاي » وكرر في كل منها تشبيه موكبه بـ « موكب قيصر » واعاد فيها جميعا قوله « ان الرعية قد عشقته » فهل كان كل ذلك حقا ؟ وهل كان ابو شادي نفسه يعتقد ذلك ، على قاعدة ان الشعر عقيدة فنية ، كما يقول ؟

ولا ادري كيف يمكن ان نوفق بين اسراعه ليسبق غيره من الشعراء قبل النجوم ليفوز بأسماع جلالته المدح ، وبين استباق السجود للطاغوت في قوله :

وللتهريج سلطان يرجى   وللطاغوت يستبق السجود

في قصيدته الرائعة « استقبال امريكا » التي حوت الكثير من الرجولة والكرامة ، استمع اليه كيف يقول :

ولو ان الرجال بها استرقوا   وفيك تحرر السود العبيد
اردنا ان نقومها فأبت   وعوقبنا وصال المستفيد
وضحينا لعزتها فنالت   كرامتنا وبش لها الحسود
وعاث بها الدخيل فبجلته   وفداها ابنها وهو الطريد
يحال العلم جهلا في رباها   وللظلام قد زف القصيد

ونضطر الى ان نعود فنتساءل عمن يعني بـ « الظلام الذين يزف لهم القصيد » افيهم ذلك الظالم الذي اسرع اليه الشاعر ليسبق غيره من الشعراء كيما يزف له ما هيأ لمقامه السامي من ارق القصيد ؟!

ولكن ما لنا ولكل هذا فأبو شادي هو نفسه الذي يقول :

اذا استشرى الفساد فكل خير   يذم ، وكل مذموم حميد

وعلى كل حال ، فهذه القصيدة بمجموعها من الشعر الجيد ، فنحن لا نقرأ القلوب ، ولكننا نقرأ المكتوب . ومثلها اجادة قصيدته « وداع مصر » التي اهداها الى استاذه « خليل مطران بك » فأنت ، ولا شك ، تحس فيها ما يعتمل في نفسه من شديد الالم وقسوة اللوعة لفراقه ، بل لفراق مصر كلها بلده الحبيب . فهو يقول :

اودع النيل في توديع شاعره   وقد اودع نفسي في مشاعره
تبا لدنيا تديم الحر مغتربا   فيها ، واخرى تناءت عن سرائره
لن يعرف المرء الا من ارومته   وليس يعرف تبر من ظواهره
وغربة الفكر في دار يمجدها   اقسى على الحر من فقدان ناظره
وهل اراك بيوم مسعد نضر   مضمخ بزكي من مجامره
تحررت فيه الاذهان مكبلة   وحطم الشعب فيه عجل قاهره
وعلني حينما القاك ثانية   اراك باعث شعب من مقابره
ولن ابدل من عزمي وان شقيت   نفسي بمنفاي في اقسى مخاطره

وما كان في قرارته يود ان يهاجر الى هذا المنفى الذي قد يلاقي فيه من المخاطر اقساها ، فهو لم يعتبره السكن المختار بل اعتبره منفى فيه من المخاطر ما فيه .

القصيدة رائعة كل الروعة لصدق المشاعر فيها ؛ ولتأثر الشاعر العميق بالشعور الجياش في داخله . وهذا بالطبع مما يثير في القارىء شعورا متجاوبا مع الشاعر ، فلا يثير العاطفة الا العاطفة . فالشعر ليس مجرد فكرة صائبة ، كما في اغلب شعر ابي شادي ، وان قال عنه صاحبه انه مزيج جيد من فكر وعاطفة . والشاعر كلما جمح خيالا كان شعره ابدع واروع . فالابداع في الخيال كالابداع في الفكرة ، وشبوب العاطفة يزيد من رقة الاسلوب . واكمل الشعر ما واءم بين هذه العناصر الاربعة .

....

طرق ابو شادي في ديوانه هذا مواضيع شتى قومية وانسانية فلسفية واجتماعية وما الى ذلك . فقد رثى زوجته بقصيدة طويلة بلغت ابياتها (١٠٣) ابيات فيها الكثير من الحرقة واللوعة كان مطلعها قوله :

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي   هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وانهاها بقوله :

تمضي الحوادث والسنون وتنقضي   امم على امم صباح ومساء
ويظل قلبي هيكلا لك خالدا   ابدا يرتل لوعتي ورثائي

ويلفت النظر هنا وضع « فتحة » على آخر كلمة « صباح » حين وضعت « كسرة » تحت آخر كلمة « مساء » فان جرت لفظة مساء على الاضافة ، لم يستقم المعنى . وان نصبت لم يستقم المبنى ، فالقافية مجرورة ، علما بأن الجزأين « صباح مساء » مبنيان على الفتح .

ثم هو حين رثى الشاعر « مطران » لم ينس ان يرثي المطربة « اسمهان » . وحين ذكر الاسكندرية ذكر نيويورك كذلك . وكما ذكر الصيف ، ذكر الربيع وعيد النيروز . وتوجع لما يلاقي اللاجئون وشكا مأساتهم المؤلمة :

خرس فمن عن ويلهم يتكلم   ومعذبون لهم تقام جهنم
والناس ، ما للناس لم يتأثروا   والاهل ، ما للاهل لم يتندموا

ما للناس لم يتأثروا ؟! سؤال لعمر الواقع جد غريب ، فالناس لا تحترم الا القوي وهم يسحقون الضعيف ليسيروا في ركابه انى سار . والى ان يتأثروا ، يكون الضعيف قد مات ! اما الاهل ، فما زالوا في ضلالتهم يعمهون .

وتوجه في الختام الى نبي المحبة والسلام « عيسى » حيث اتخذ من اسمه الطاهر عنوان قصيدة اختتم به ديوانه او كاد . ثم عرج الى السماء مرة اخرى في آخر قصيدة بالديوان جعل عنوانها « الصعود » حيث بقي رحمه الله رحمة واسعة . فاليه في علياء السماء اقدم ، مرة اخرى ؛ خالص الشكر وعميق التقدير على هديته القيمة .

البصره ــ العراق   سالم علوان الجلبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتنتني عبقر يوما

القصيدة التي القاها الاستاذ محمد عبد الغني حسن في حفل استقباله بمجمع اللغة العربية بمصر حيث فاز بالعضوية فيه خلفا لسلفه المرحوم المؤرخ الكبير الاستاذ محمد رفعت وزير التربية والتعليم سابقا

لشاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عدت من عمري بآلاف السنين   حينما صرت بكم في الخالدين
لو يسمى الفوز يوما صفقة   كنت في الصفقة خير الرابحين
أنا مذ آوي الى قمتكم   فأنا آوي الى ركن ركين
قد تلقيتم جهادي بيد   كل ما فيها على الحق امين
خفت أني لم أكن أهلا لكم   فأراني فضلكم كيف أكون
همت بين الشعر والنثر ... كما   راح في التهيام بعض العاشقين
فتنتني « عبقر » يوما ... وهل   بعد وادي « عبقر » كان فتون
وتنقلت على أعرافه   سادرا ما بين شك ويقين
تارة أدنو ، وطورا أرتقي   بخيالي في متاهات الظنون
وتوجهت الى النثر على   ما به من مركب صعب حرون
المطايا لم تعد لي ذللا   والاماني اصبحت وهي شجون
فحططت الرحل فيما بينكم   واستقرت بي على الشط السفين

مذ طرقت الباب من نحوكمو   لم يجب صوت ولا امتدت يمين(١)
هكذا قيل لنا عن شانكم   في لقاء الطامحين الطارقين
أيها الاشياخ من علمكم   ان تصدوا الاسد عن باب العرين
عرب أنتم كرام ... انما   تتحدون الرجال القاصدين
ليس في الباب لديكم مسرب   لضعيف ، أو مجال لظنين
فليدق الباب مثنى وثلا   ث ، ولا باس بصبر الطائفين
هذه الكعبة من يممها   فليطف في بابها بضع سنين
شهد الله ... لقد رشحني   عندكم خير الكرام الشاهدين
راح « علام »(٢) يزكي ادبي   وهو في معروفه غير ضنين
لم يزل يغمرني من حبه   الذي يعيي لساني ان يبين
وانثنى « الحوفي »(٣) يحصي ادبي   وهو في الاحكام خير المضعفين
أحسنا ظنهما في ناهض   بجناح هو صنع المحسنين
لم يزالا بي في السعي الى   ان أتاني منكم النصر المبين

مضيا يلتمسان الاذن لي   عند اهل الرأي خير الآذنين
وافاءا بي الى محرابكم   في خطا الواثق ذي العزم المكين
وهما كانا اليكم سببي   وعلى ايديهما اجتزت الحصون
فالتقى عزمهما في عرفكم   انما الفضل الى الفضل قرين

اغفروا لي ان تخطيت الى   بابكم اعرافكم في القائلين(٤)
لم يضق بي النثر عن تحديثكم   فتخيرت لسان الشاعرين
ليتني ابلغ من مرضاتكم   كل ما ارجوه من شعر رصين
لم تخني لغة النثر ... ولا   عزني فيها بيان مستبين
كيف يعيى الشعر أن يبلغكم   بالذي في النفس من معنى دفين
وهنا احببت أن أطرفكم   بالذي في الشعر من يسر ولين
وقفة في(١) طلل تفتننا   كيف لو كانت بباب الاربعين

سنة الدهر لدينا اجتمعت   والتقت فينا عظات الواعظين
الكراسي التي نشغلها   لم تزل تشغر من حين لحين
فاسال «المجمع» عمن أمه   ثم امسى في سجل الراحلين
صور تاتي ، وتمضي صور   ولبانات لنا ما ينقضين
لا تقل إنا تجاوزنا المدى   لا تقل انا تخطينا السنين
هون الله بما فات ... فهل   نحسن الظن بأيام بقين
لا تقل شيئا ... فما شاب الذي   يقطع الليل عناقا للمتون
نحن ما زلنا شبابا ناهضا   رغم ما في الشيب من غمز العيون(٥)
فاذا اعطيت قلبا نابضا   كل شيء بعده سوف يهون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب الكرسي قد خلفه   سلفا ، أو قدوة للمقتدين
الفراغ الضخم من يملؤه ؟   كم عروس اتخمت بالخاطبين
(رفعت) كان لمصر رفعة   ومنارا واضحا للسالكين
جمع الفضلين في أعطافه :   شرف العلم ، وخلق العالمين
شهدت «اسيوط» منه مولدا   لم تهيئه قصور المترفين
كان للتاريخ تاريخا ، حوى   بالعصامية قدر المعرقين
ليتني اظفر من كرسيه   بالذي اوليتموني من ظنون
ظنكم — والله — لن اخلفه   فلقد صممت والله المعين

ايها المجمع شكرا حينما   كنت فينا اكرم المستقبلين
هكذا الزراع رفقا بالجنى   وكذا الآباء لطفا بالبنين

---

(١) يشير الشاعر الى انه لم يظفر بالفوز بالعضوية من اول مرة كما هي عادة المجمع .
(٢) هو الدكتور مهدي علام امين المجمع وعميد كلية آداب عين شمس سابقا وعضو المجلس الاعلى للفنون والاداب . (٣) هو الدكتور احمد الحوفي عضو المجمع والاستاذ بجامعة القاهرة . ومن عادة العضو المرشح ان يزكيه عضوان . (٤) القى الشاعر كلمة استقباله بالمجمع قصيدة على غير ما جرت به تقاليد المجمعيين ، وهي السابقة الاولى بالمجمع . (٥) يرد الشاعر على من قال ان المجمع يختار اعضاءه من كبار السن ...

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

فوزي عطوي

كتبت اليك

بقلم فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

لم تكن هذه الرسائل مرشحة للنشر ، ففيها من البوح الوجداني الموجع ما يحمل صاحبها على التورع والتهيب ازاء تعميمها على الناس ، اذ يبقى صحيحا ، على الدوام ، ان الكاتب يملك الكلمة ما لم تخرج من ثنايا قلمه ، حتى اذا عممها بالنشر اصبحت هي المالكة له .

لقد كتبت هذه الرسائل خلال فترات زمنية متقطعة ، بعضها قريب ، وبعضها الآخر يعود الى مراحل بعد بها العهد ، واندرجت في عداد الذكريات ، بمراراتها وحلاواتها سواء بسواء .

واني مذعن « للاديب » في المنطق القائل بعدم جدوى الاحتفاظ برسائل تتسم بلمحات ادبية ووجدانية بارزة . مجيزا لنفسي التصرف في ترقيمها ، وفقا لتسلسل عشوائي غير زمني ، لاسباب احتفظ بها لنفسي ، فاذا لقي هذا النهج من الكتابة قبولا ، فالفضل فيه لهذا القلم المتلفع ببقايا الحياء الادبي ، رغم كل شيء ، اما اذا لقي انتقادا فالغرم فيه يتحمله وحده استاذنا الكبير منشيء « الاديب » الاستاذ البير اديب .

الرسالة — المقدمة

حبيبتي ،

كتبت اليك ، وكتبت عنك . فلك وحدك الفضل فيما كتبت عنك اليك !

كتبت عن بعض حبي . ومن بعض احزاني ، ومشاغلي ، وهمومي تخففت .

وظلمتك ، فحملتك كثيرا مما اثقلني ، فكان قلبك افسح من ان يضيق بظلمي ، وكانت روحك انبل من ان تحرجني بثقل ما حملت عني !

ولقد شاطرتني من العمر سعادته وشقاءه ، وبلوت كما بلوت حلوه ومره ، والهمتني الحلو المنمنم من بياني ، ودفعتني متشجعة فاستهنت بالعثرات ، واستسهلت العقبات ، وكنت كما احببتك ، حبيبتي وصديقتي ورفيقة دربي ، فبات سري لائذا بصدرك ، وانست مطامحي الى فيء نفسك !

فاذا صدق الناس او لم يصدقوا ان ما بين ايديهم هو بعض ما كتبت اليك ، فحسبي انك تجدين ذاتك ، عبر السطور ، وتتنسمين منها عبيرك الذي تنسمت .

ولسوف يظل ما كتبت اليك نموذجا نبيلا لحب كبير ، يتهاداه الاحبة ، ويومئون الينا من بعيد ، فلا تزيدنا الايام الا القا ، ولا يصوح لنا عطر ، ولا يذبل لنا زهر .

واسلمي لي .

الوعد السماوي

بعد الذي كان ،

سأظل احلم بيوم ارتقي فيه الى عالمك الروحاني السعيد بعناق الحق ، وسأحفظ عنك ، مستغفرا لهنيهات من الضعف عبرت بي عالم التجربة ، ان في البشر اناسا يشاركون ارباب المثل بعض همومهم ، فينكرون ذواتهم لاجل بني البشر ، ويخنقون خفقات قلوبهم من اجل وعد سماوي يزرع الضوء في عيونهم ، ويحيي الرجاء في نفوسهم . ويجسدهم اطهارا ابرارا في عالم الملائكة !

وثقي انك في القلب ، الى الابد !!

الجفون المكحولة بالحب والحزن

عجيب حالنا ، يا امراة دخلت الى محراب عمري بغير استئذان ، واذنت لي بالدخول الى محراب عمرها ، لاتلو ترانيم ايماني بعظمة الانسان المخلوق على المثال الاسمى ، ولاخشع الخشوع كله ، امام الجمال الماسح بيده العبقرية على جفون تكحلت بالحب والحزن وبقايا الوسن . ولاستلهم

الطهر كله من روح حبيبة مطيبة بالسماح ، فانسى ما كان من شقوة الامس ، واشعر ان الغد الموعود كفيل بأن يبرئني من تفاهات ضيعت ايام امسي ، متسكعا على دروبها .

عجيب حالنا ، اذ نتشاكى الهموم ، ونتناجى في مثل وجد الصوفيين ، ثم لا ننفك في غفلة من هناءتنا المشبوبة ، نكابر حينا بلا مكابرة ، ونعتب بغير عتب ، ونخاف من مجهول يلم بحبنا ، فنكتب النهاية كما لم نكتب البداية ، وننتهي على غير ما نشتهي .

لكن ارق ما فينا ، اجمل ما بيننا ، اطهر ما لنا ، اننا سرعان ما نتخطى وهم المجهول ، ونعود سيرتنا الاولى ، فنتحدى كل عثرة ، ونجتاح كل عقبة ، واثقين ان احدنا يكمل شطره الآخر كمالا روحانيا لطيفا ، واننا على غير استعداد للتيه في فراغ او للسير في عالم الضياع !

ويا اغلى الاحبة !

تعبت من طول السرى حتى وجدتك ، فلن تضيعي مني بعد اليوم . لن تضيعي !

جدت علي بالنعميين

ايتها الغناء الوارفة الظلال !

أفي الحدائق المخضوضرة ، بعد ، انت ؟ أم استحلت الى مثل ما ارى امامي الآن ، وعلى مرمى النظر ، رمال الصحاري والسراب ، لا يمدها الخليج الساجي الى جوارها بقطرة عذبة من مياه ، ولا تخبيء واحة اشجار النخيل تبالتها ما اعترى كثبانها من الظمأ والهجير ؟!

ابعد ، في جفون براعمك ، يترقرق دمع الندى السكوب ، وعلى ثغر ازاهيرك ، تتألق ابتسامة الفرح القديم ؟!

وهل عصارة حلوة ، بعد ، تختلج في عروق الدوالي ، وتضج في ضمير العناقيد ؟!

اتلك انت ، بعد ؟ ام آلت حالك الى غير حال ؟!

كنت لي نيسانية الهوى ، فاعدت الى قلبي خفقات الربيع الدائم ، وحملتك في يدي . حملتك في اهدابي . حملتك لحنا شجيا في توافي ، فعرفت من جديد كيف احيا بك ، وكيف احيا لك !

وتوالت علينا الفصول !

وبقيت انت انت . بقيت نداوة الربيع في جفاف الصيف ، وابتسامة الربيع في شحوب الخريف ، وهداة الربيع في عواصف الشتاء ، وفي كل ربيع كنا نعانق معا اناشيد الحياة !

ثم دار الزمن دورة رفضت ، يوما ، ان تكون في حسبان هوانا الابدي .

مر بنا الربيع ، ذات يوم ، فذكرتك . ولم تذكري انني انا ايضا وليد الربيع الاثير !

وتناءت بيننا المسافات . وتنافر الود ، وطوح بي الجفاء في كل ارض ، وتحت كل كوكب ، وما نسيت يوما حكمة الشاعر القديم :

ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة ، كسرها لا يجبر !

وغلبتنا يد الزمن القاسي ، فلم تكن خطوطها كآثار اقدام عابرة على جبين الرمال ، بل تشبثت بتاريخنا ، وتعمقت كما تتعمق الغضون فوق الجبين المتعب من تراكم السنين !

لعلك الآن تبحثين مثلي عن علة لانقطاع الوداد !

لعلي ، مثلك ، ابحث عن علة تسيغ لي قبول ما انهيت الي من مبررات خجلى ، حسبها وهي لا تقنع نفسها ، انها لا تطمح الى اقتناع سواها !!

ان الحديقة الغناء التي لا ترتوي مما يرفد ثراها بالسلسبيل العذب ، تبحث عن الري عبثا في الخلجان والمستنقعات !

ولربما حجبت غيمة مسافرة عابثة وجه الشمس عن عيون البشر ، لكن الشمس تبقى ام الضياء ، وتسافر الغيمة العابرة الى حيث تعبث من جديد !

ويا حبا قديما لا يموت !

ربما حق لك ان تنعتي بالوهم ما انطق به عن قناعة حميمة ! لكني التفت من حولي الى براعم كنت اراها تترقرق بالندى ، والى ازاهير كانت تتألق بالفرح ، والى ثمار كانت تضج في ضميرها عصارة حلوة سمحاء ، فلا ارى الظلال الوارفة الاصيلة ، بل تصدعني الحديقة الغناء وهي تعيش في ظل اوهامها ، ضائعة بين حب قديم وصداقة محدثة ، ناسية ان القلب لا يستطيع ان يشرك في الهوى احدا ، فأحس ان ما كان قد كان ، وان الدوام لن يكون لغير وجه الله ووجدانه !

اكثير علي ، بعد ، ان احرر على رصيف احزاني رقيق الذكريات ، فيما ارى رياح شراعي توجه مجاذيف سفينة الايام نحو الوراء البعيد ؟!

يوم اعدت لي حريتي ، جدت علي بالنعميين : نعمى الخلاص من اسارك ، ونعمى الحنين اليك .

فباسم ما اعطيت ، اتركك بحرية ، وآتيك ساعة يبرح بي الحنين ، بحرية ايضا ، لا لان لك شيئا عندي ، بل لانك ، رغم كل شيء ، لم تستطيعي ان تختنقي في اعماق اعماقي نداء الوفاء !!

على ارصفة الزمان

سواء تلطف السائلون ، فكتبوا الى هذا الانسان الدائم الاغتراب ام لم يسألوا ، فهو يعرف ان الابتسامات العائدة الى العمر ، بعد سفر طويل ، اصبحت هي الاخرى دائمة الاغتراب .

ولطالما اعتاد هذا الانسان ان يقتات من ذكرياته ، غير لائم ، ولا عاتب ، ولا منفعل ، بعد ان استقطر وجدانه كل احزان الجراح القديمة والجديدة .

فلعله ، وهو يجرر ايام العمر المتعب ، على ارصفة الزمان ، يتعلم بعد الآن كيف لا يتعب الآخرين بتفاهاته وشؤونه الصغيرة ، لانه اصبح مقتنعا ، اكثر مما مضى ، ان الواقع لا يبدل ، وان الحقيقة يجب ان تقبل ، ولو مرة المذاق .

ماذا تراه ، هذا الانسان ، يستطيع ان يقول ، بعد ؟

صدقا ، لا يعرف ماذا يقول ؟

لا يعرف ماذا يقول ؟

العتاب المنسكب

كرقة حبك ونجواك ، ينسكب عتابك في مسمعي ، فأحس هوانا يكبر ويكبر ، حتى ليشمل الدنيا بمن فيها وما فيها ، واشعر ان عتابك هو بعض ما يبوح به دلالك ، وغنجك اللعوب الطروب ، فتورق الاماليد ، بعد يباس ، وترق الحياة ، فلا تنتهي حلاوتها في نفسي وفي نفسك .

ولقد عهدنا المحبين ، قبلنا ، يرفعون الكلفة فيما بينهم ، كلما اوغلوا في ارتشاف كؤوس اللذاذات . لكنما نحن ، والذ لذاذاتنا هذا الانسكاب الابدي من نفس في نفس ، ومن جسد في جسد ، نستمر ونستمر ، سعداء بما بيننا . وأسعد سعادتنا ان ما بيننا سر لا يعرفه احد سوانا . وأرق ما بيننا ان كلا منا شغل الآخر بنفسه ، فاغمض الناظرين عن كل ما حوله ، لئلا يرى غير الوان الجمال . في كل مرمى بصر .

فان تفلت ، من شفتي ، ذات يوم حرف مما يقوله الناس ، فاغفري لي بشفاعة ما تعرفين من حبي الفريد الوحيد ، وثقي ان كل مقاييس البشر ، وكل اسمائهم وتسمياتهم ، وكل اضاليلهم التي يلبسونها ثوب الفضيلة الزائفة ، لا تعدل عندي ابتسامة تحيل نار الشمس الى ضياء ، وتحرك في مكامن النفس احلى امنياتها : واسلمي لي .

تعطلت كلماتي

انتهيت الآن من تلاوة سطورك الحلوة المنمنمة المغموسة في طهارة نفسك . المنسولة من نبل اخلاقك . فسألت نفسي : احقا يستطيع مثلي ان يكون ظالما الى هذا الحد ، وعن غير قصد ، لانسانة مثلك تستطيع ان تحب بمثل هذا الحب العظيم .

وصدقيني ، تعطلت كل كلماتي امام بوحك الساحر . امام نفثاتك الموجعة ، واحسست كم كنت كبيرة ، كم انت كبيرة ، كم ستظلين في عيني ، وفي قلبي ، وفي روحي : كبيرة كبيرة !

كل البلاغة التي تحاولين احياء ذكراها في نفسي ، اصبحت خرساء لانني شعرت بلغة القلوب تتدفق من قلبك الطاهر ليسجلها قلمك الواله الحبيب .

هل تسمحين لقلبي وحده ان يخفق بحبك ، ولقلمي ان يستمع ، بدل ان يتكلم ؟ فان في كلماتك العذبة كالنهار ، الساطعة كالشمس ، القوية كايمان العابدين المتصوفين ، فعل السحر في عمري .

بصراحة وصدق وحب اقول لك : ان الانسان الذي احببته كل هذا الحب ، يتمنى ان يكون مستحقا لما بذلته في سبيله من حرقة وعذاب ، وما ذقته كرمى له من مرارة الالم الوجداني العميق .

وصدقيني ، بعد هذا ، انك بكلماتك الحلوة الرقيقة ، بموقفك الرائع الشجاع ، انتشلتني من عالم الضياع ، جعلت لهذا العمر المتعب من كل شيء ، معنى جميلا طيبا ، كأن يد العناية الالهية اعادتك الى احضان نفسي في الوقت المناسب .

فاذا قلت : احبك ! كان قولي ادنى من حقيقة مشاعري نحوك .

واذا قلت : اقدسك ! لم اعطك سوى ذرة مما اعطيتني بسخاء .

واذا قلت : احترمك ! لم ابح لك بغير الحقيقة التي لا تتبدل .

يا نجية عمري ،

كادت خطواتي تتيه بي في المعارج والمنزلقات .. فلا تعتبي على ايام لا نحصيها في حساب عمرنا .

ان لنا الغد المشترك . ان لنا حبنا الرائع . وانا لك قدر ما تشتهين !

كنت قصيدة القصائد

ولقد حاولت رسمك ، فتمثر اللون على اطراف ريشتي ، وابى علي الفن المبدع ان اجمع بين الرسم والشعر ، حتى لا اشرك في وحدانية الجمال ، ولا اشوه الوجه الذي احببت حتى الجنون !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحاولت ان انظمك قصيدة ، فتألقت رقة في ثنايا القافية ، ووزعت سطوة الاميرات بين معارج الحروف ، وكنت كمهدي بـك ، قصيدة القصائد ، وكنت الحب النيساني المورد الذي ما احببت مثله انسانا !

وما انت وحدك ، يا حبيبتي ، في توغلك عبر نفسي ، لتكتشفي ما فيها من كنوز ، او ما يشوبها من حماقات . فأنا الى جانبك ، اريدك رقيبا علـى ذاتي ، ادلك على خطاياي ، واكشف لك عن اخطائي .

لقد برئت مما حملتني الايام من تفاهات التسكع ، في اودية الرغائب ، ورحت احلم بالعالم النوراني الذي يحملني اليك ، الى قممك المشرئبة كنفسك البريئة حتى من تهمة جمع الطوابع !

وان تتغلغلي بين اوراقي ، فقليل قليل عليك ، ايتها المقيمة في دمي ووجداني ، والماثلة على شفتي صلاة ، وفي قلبي تقى وتعبدا .

وطمئني مزهريتك ،

ان التي ترش السحر والجمال والحب ، لا تذبل ازاهيرها ! لا تذبل .

عرائس الاساطير في الجزر القديمة

الاهداب الحيية المتكسرة على وقع بوحنا المهموس ، واللفتات الحلوة المغناج ، وهذا الانسكاب الوجودي الكلي مـا بين ذاتينا ، في احاديث الملائكة ، وفي بعض اعمال الشياطين ، تؤكد لنا كلينا ان ما بيننا قد تجاوز نطاق ما نصر على تسميته اعجابا واستلطافا ، وبلغ حدا جعـل العيون تتعب من الوسن ، فلا تنطبق في الليالي الحالمات الا على صورة احدنا ، كأنما عشنا طويلا في عوالم الضياع ، ثم اهتدينا الى الضالة المنشودة ، ولو بعد زمان طويل !

ويا أرق النساء !

اسائل نفسي ، وانا بريء من كل قناع يزيف حقيقتي ، عن معنى الايام الخوالي التي مرت بنا ، ولم ينعقد لنا فيها تعارف او لقاء ؟ افتحسب تلك الايام لنا ، ام تحصى علينا . لان يد الاقدار لم تشأ ، منذ ان ابدعتنا يد الله على صفحة هذا الوجود ، ان تجعل الروح تنسكب في الروح ، والجسد يذوب في حنايا الجسد !

ولكن ، لا عليك يا غالية !

الآن ، في هذا الاتحاد الروحاني النبيل الذي نحس بفضله اننا نخلق بأجنحة الطيور الجميلة ، ونغرد بحناجرها ، وننظر بعينها الى عين الشمس ، كأننا نتحدى لهيبها بما يجتاحنا ، وجودا وكيانا ، من لهيب الشوق الذي لا ينطفيء ، ننسى الكون من حولنا ، ننفض عنا غبار الزمن المسافر . تضج في اعماقنا قهقهات السعادة النشوى ، لان عناقنا الروحاني سيكون عناقنا الابدي الذي لا ينتهي .

لقد كدت اضيع الخطى على ارصفة عمر تائه ضليل . كان القلب يتنقل فيه تنقل البلبل الزئبقي الهوى ما بين غصن ظليل وغصن ظليل . فها قلبي يبحث عن حبه في اعماق كيانك ، فهل تفتحين له هذا الصدر الرقيق المنمنم ، لكي يستظل في فيء قلبك الحبيب ، ايتها الحبيبة الحلوة النبيلة التي تذكرني كل حين بعرائس الاساطير في الجزر القديمة ، واميراتها الحالمات ؟

التمس العذر لنفسي وللآخرين

يمر بي نيسان هذا العام ، وانا الهارب الدائم من نفسي ، البي كل دعوة تأتيني من اربع جهات الارض ، معللا مبررا هذا الضياع الذي اعتدت فيه التشرد المستمر بين مقاعد المطارات ، ومقاعد الطائرات ، ومقاعـد الفنادق وأسرتها ، ان ثمة انطلاقة فكرية واسعة تطلق خطواتي الى ما وراء حدود الوطن ، ناسيا او متناسيا انني كنت ، ذات يوم ، لا اطيق مبارحة ارض بلادي ، احساسا مني بالانتماء والولاء للانسان فيها ، ولكل ذرة تراب في ثراها .

على ان ثمة شعورا عميقا غريبا ينتابني منذ فترة طويلة : الانسان الذي ملأ كياني حبا ، وبث في وجودي كل معاني الكبرياء والطموح ، هو الذي تسبب من حيث يريد او من حيث لا يريد ، بنفوري من كل شيء ، حتى من انجازاتي التي يصفها الناس بالرائعة ، حيثما حللت ، لكنها اصبحت بكل صدق واخلاص ، لا تعني شيئا بالنسبة الي ، عدا انها مجرد سلوى واضاعة وقت احب ان اسيطر عليه ، لئلا يزيدني مضغه بغير طائل الما على الم ، وحزنا فوق حـزن .

وبنزاهة وحب كبير اقول : لقد تركت لنفسي بعض حريتها ، ورايت الا اصدها عن الناس ، والا اصد الناس ، وحسبت ان تجربة جديدة مع انسان جديد ، ربما تنسيني ما كان من حرقة التجربة الاولى .

وربما ظلمت نفسي ، آنذاك ، بل ربما احتقرت نفسي ، فكنت اضحك في اعماقي من هذه اللعبة الطفولية التي لم تبدأ ، ولم تثمر بطبيعة الحال شيئا .

لقد اصبحت واثقا انني لن اشهد في بهاء تجربتي مع انسان وطني ، تجربة اخرى . ويؤلمني ان اقـول ايضا بنزاهة وحب كبير : انني لم ارتكب في حق انسان وطني ادنى اذية حتى اكافأ بمثل المكافأة التي لا احب ان انبش دفاترها . وفي يقيني ان الحب الذي حملته لانسان وطني لن يستطيع ان يحمله انسان يحب انسانا ، ولـو زعم وادعى . فعبثا ، بعد هذا ، ان اخوض التجارب مع اناس اخر ، وبذلك استغني عن جرح كرامتي ، او جرح كرامة الآخريـن .

ولقد حاولت ، بما في طبعي من شيم الوفاء ، ان اعود الى انسان وطني ، وان استعيده الى مكانته الاولى من نفسي . ومن سخرية الاقدار ان اتسو فاعلن انني لا استطيع المخادعة ، فلا انا عدت بمثل لهفتي المعهودة الى انسان الوطن ، ولا احسست انسان الوطن قادرا على استرجاع مكانته الاولى من نفسي .

وهذه خسارة كبرى ، ولا ريب ، اذ انها ستجعلني اقطع عهدي بتغريد البلابل ، سواء شئت او ابيت ، وهذه ادلة الصمت المبرح لا تحتاج الى اقامة الدليل . ومن اسف ان يضطر العازف على الوتر الى الانتقال ، ربما ، للنقر على الطبول ، فلا الغناء غناؤه الاصيل ، ولا الالحان الحانه المشبوبة المشتعلة شوقا وحنانا وحنينا .

أفيكون لي ان اصارح انسان وطني ، بعد هذا ، بأن مـن اوجع التجارب الوجدانية ، في اعمار الخلصاء الاوفياء ، ان ينتقلوا من مواقع الاحباء الذين يشاطرون بعضهم بعضا هنيهات حياتهم ، بكل ما فيها من امل والم ، الى مواقع الاصدقاء الذين يثقل التكلف احاديثهم ، ويحيلها الى مثل برودة ثلوج قمم افرست ؟

اني ارى ، بكل اخلاص ومودة ، ان اقطع صلتي الملهوفة السابقة بانسان الوطن ، لانني آبى على نفسي ، وعلى هذا الانسان بالذات ، ان ننتقل من مواقع الاحباء الاوفياء الى مواقع الاصدقاء المتكلفين . فماذا تسنى لنا ، بسبب من الاسباب ، ان ينعقد بيننا لقاء ، بأي شكل وفي اي مكان ، كان لقاء الاحباء القدامى الذين لم يضيعوا ذكرى عزيزة غالية .

لقد خلصت من تجربتي مع انسان الوطن الى لون من التصوف ، بل الى التصوف الفكري والعاطفي معا . فليس من حقي بعد اليوم ان التفت الى شؤون نفسي ، وانما علي ان اعيش واعمل واجاهد مـن اجل اسعاد الآخرين ، حتى ولو شقيت لاجلهم . وفي هذا ذروة الثورة على النفس ، بل ذروة التغلب على النفس .

وفيما احس ان هذه العبارات الهادئة الحزينة قد تؤلمنا معا ، فاني واثق من انها العبارات التي ينبغي ان تقال ، فما انا بالمخادع ، ولا انا بالمتسكع على ارصفة الزمان ، لكنني انسان صدق نفسه فصدق سواه ، وحسبي انني لا التمس العذر لنفسي بأكثر مما اجد العذر في نفسي لغيري . فلعل للانسان ، اي انسان ، منطقا لا يبلغه منطق الآخريـن .

اني ليؤسفني حقا ان يكون قد آذاك ما تطاير من رشاش هذه الكلمة او ما تساقط من رذاذها ، لكنني اعرف على الدوام ان الصراحة هي اقصر السبل الـى قلوب الناس ، وان صدقي وكرامتي هما كل ما تبقى لي : في التعامل مع الانسان ، فوق كل ارض ، مع محبتي وتحيتي !

عند آثار المدينة

اراك تعجبين كيف تنقاد خطانا ، في قلـب المدينة الحية ، والى بقايا آثار التاريخ ، حيث الصمت ، والموت ، وبقايا انفاس الذين مروا من هناك !

لكنك لو ذكرت ، كما اذكر ، ان العمر حلم جميل ، واننا في هذا الحلم لا نعرف سوى البداية بالولادة ، والنهاية بالموت ، لادركت ان الآثار وحدها قادرة على ان تكون قبل البداية ، وعلى ان تستمر بعد النهاية ، لتعبر عما بين بداية حلم العمر ونهايته ، ولعرفت مثلي اننا في الغد ، سنصبح اثرا قد يمر به انسان ليرى كيف يكون الحب البهي الندي حكاية الحكايات !

وغدا ، يا حبيبتي ، حين يلف الصمت عمرنا ، فيكتب القدر سطور الحلم الاخيرة ، ويعانق جسدنا الموت الهانيء الهادىء ، ستكون ارواحنا مصفقة بأجنحتها النورانية في آفاقها القدسية ، حيث لا فراق هناك ، ولا موت ، ولا حزن على شيء يضيع .

فان صح تقمص الارواح فيما بعد الموت ، فان روحينا ستتقمصان انسانين متحابين يجددان مـا بيننا ، وتنقاد خطاهما في الدروب التي انقادت فيها خطانا ، باحثين عن آثار تاريخنا المطرز بعبق الزنابق !

آمنت بحكايات العجائز

كما الاميرات الحالمات ، لحتك في العشية تخطرين في معاطف الطيب والحب والجمال ، وتنثرين البسمة الشاعرة ، فتشتبين بها العتمة الدجية ، من حولك !

واذا الحلم يكذب الحقيقة التي لحت ،

واذا العتمة تحيط بك ، مسجاة على فراش الموت ، وانت ترفلين في ثياب العرائس !

واذا الحلم ثقيل ثقيل ، والهاجس مرهق مرهق !

وفي الحلم رفضت ان اصدق ، اذ ما تخيلت الموت بلا قلب ، ولا ظننته يمد يدا من بعيد الى فاتنة وتلهم الخاطر نفثات الخلود .

ما زال يهزني حلم الموت ، وهو يطوف بك ، فانساق مع التوهم بان وصالا ما بيننا قد انقطع ، فلا ادري اي طعم للفناء احس به ، اذ تحسين به ، ولا افهم كيف يمكن ان تنتهي بنا مواسم اللقاء والعطاء !

ويا حبيبتي ! حدثتني العجائز من زمان ان الموت في الحلم يبشر بحياة تكتب للميت ، من جديد !

الآن ، يا حبيبتي ، آمنت بحكايات العجائز !

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

ابتسمي للحياة

رثيت لك ، امس ، اذ رايتك زهرة ناضرة ، في يدها زهرة صغيرة ذابلة ، لا ينعشها المطر المحيط بكما ، كانما المطر كان لكما صقيعا يجمد شرايين القلب ،

وانتما كنتما تحبانه لو يكون المطر الذي يحيي موات ارضكما ،

ولكن ، لا عليك يا موجعة الشوق والكبرياء !

قد يرغمك القدر على ان تتحملي لوعة الذبول ،

وقد تخيط بك ليالي الظلم بالشقاء المحزن المضني ،

وقد يظل المطر ، كما رايته ، صقيعا لا يحيي موات ارضك ، فلا تنبت الارض بذوره ، ولا تزهر ولا تثمر ، ولا تنبت لــه حتى الشوك والعوسج ، الى جانب الزهرة الصغيرة الذابلة .

على انك مدعوة الى بطولة عصماء ،

فليكن الذبول القا على جبينك ، وليكن الحزن فرحا مكابرا في قلبك .

ولا تنكري المطر ، اذ ساقتك اليه يد القدر ، فانبت في ارضك ، زهرتك الصغيرة الذابلة ،

وابتسمي للحياة !

ان الحياة تقسو على الغارقين في بحار الدموع !

بقينا صغارا ، ولم نكبر

اتدركين كيف نكبر عاما بعد عام ، على اننا نبقى في مثل طهارة الصغار ، وفي براءتهم البيضاء كقلب النهار ؟

فان سالوك ، غدا ، لماذا لم تكبري ؟ اجيبهم كما اجيبهم لو سئلت : لقد رشفنا الهوى من اصفى ينابيعه ، فلم نلتفت الى زمان يعدو كالملهوف ، ولــم نكترث بمكان يجمد كالابله !

قولي لهم : اننا حيث حللنا ، حركنا المكان الذي لا يتحرك ، واوقفنا الزمان الذي لا يقف !

لذلك ، قولي لهم ، نسينا ان نكبر ،

ونسينا الا احلام الطفولة ،

ونسينا ان نكره ، ونسينا ان نفكر بشر ، كما يفكر البشر !

لذلك ، قولي لهــم ، بقينا صغارا ، في مثل براءة النهــار !

اما اذا ابيض شعر فوق هام ،

واذا زحف شحوب الى وجه ،

واذا ارتسمت علامات التعب تحت الجفون ، فذلك حساب مع الايام ، لا شأن لنا فيه !

حسبنا اننا نحب في ذاتنا ما نحبه من براءة الطفولة !

خبز بطعم ايام السماء

هذا عرس شهي لتعانق الارواح ، يا اغلى الغوالي ؛ وموسم من اطيب المواسم ، لذ فيه الجنى وطاب القطاف !

كنت في رحابك ولم اكن !

شعرت انني احملك ، اطير بك ، ابحث عن المجهول في اشياء واشياء ، فلا اصحو من غيبوبتي الا وقد افلت من يدي ، وبعدت الى حين ، كما تفلت الهنيهة الشاردة في ثنايا الزمان ، ثم اذا انا اضيع معك في غيبوبة نشوى ، من جديد !

شعرت انني اتخفف ، امام قدسية جمالك ، من كل احزان الدنيا الغارقة في عيني ، فانتقل عن اهدابك الظماى الى حبي سطورا من السحر الحلال ، واسرق من ضفاف شفتيك الحلوتين بعض اسرار اللهيب ، واتكيء على خد خجول انا ، وانا على عنق ، وحده يعرف طعم العناق !

وعدت من رحابك الى رحاب هذه الدنيا ، فما ابشع ما رايتها اذ قارنتها بدنياك الندية السمحاء ، الغنية بقلبك النابض بحب الخير ، والخافق باطهر الامنيات !

ويا حبيبتي ،

سواء تعانقنا بالروح ، او تواصلنا بالجسد ، فستظلين عندي ، في الحضور والغياب ، نورا يزف الى نور ، في موكب روحاني يحف السماح بجانبيه ، ويوزع على الكون خبزا بطعم ايام السماء .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

في عرسنا الموصول

احس اذ اغرق في بحر عينيك ، بشاطيء من اللازورد العسلي الداكن ، ارتاح اذ القي بنفسي فــوق ضفافه ، فتنسيني موجة السحر التي في عينيك الحبيبتين ما انا فيه من مشاغل الايام !

اغرق عيني في العينين الحلوتين ، فاحس الجمال يذوب في الدنيا من حولي ، ليتقطر صفاء ، وينساب كبرياء لا يعرفها غير من ذاق كبرياء الجمال !

واغرق ذاتي ، اغرق كياني في ذاتك ، في كيانك ، فاشعر ان كنوز الروح التي اكتشفت تضاهيها روعة ورقة ولذة كنوز الجسد المعجون بالنار والندى ، فاذا انت بين يدي لهيب مشبوب ، واذا قطرات الندى تنسكب من عالمي ، وتتسرب الى عالمك ، فتشعرنا معا اي رائعين يتعانقان ويتواصلان !

ويا حلوة الحلوات !

كذب الذين قالوا : ان حب الروح يفتر ، اذا شاركه حب الجسد !

ها نحن ، في عرسنا الموصول ، نأتلق روحا ، ونأتلق جسدا ، فلا يزيدنا الائتلاق الا هوى مشبوبا ، ولا يزيدنا الائتلاق الا شوقا الى الكنوز المخبوءة ، ان كان بيننا ، بعد ، من كنوز لم تكتشف !

الالم مطهر النفوس

وكنت بقربي ، تشهدين لاول مرة ، ربما ، ما تنفطر عليه الجبلة البشرية من ضعف جسدي . فلا مقاومة ، ولا مكابرة ، ولا قوة اعصاب تزيح من امامك ما تشهدين من فصول الالم الصامت ، وما تدركينه بالحدس من تمزق يكاد يتفجر عذابا يضنني ، فلا اعترف به .

ولن انسى ما حييت انني تسببت لك بالم نفسي يجاوز المي الجسدي ، اذ دعوتك الي ، قبل ان تبرح بي الاوجاع ، فجئتني بأثواب الملائكة ، لا لتقابلك مني ابتساماتي المعهودة ، وانما لتقفي ببابي هنيهات طوالا . وانا لا احس بالوقفة الملتاعة ، واذا كلانا في مهرجان للعذاب !

ولقد شعرت ، اذ ذاك ، رغم ما بي ، انك قلت لي ذات يوم ، مقالة صدق لا ترتقي اليها ريبة ، ولا تداخلها فطنــة .

قلت لي : « جميل احيانا ان يكون المرء ضعيفا لانه يكون اذ ذاك في ذروة انسانيته » .

وحقا لست ادري تحت اي صفة كان يمكن ان يندرج الكائن البشري ، لو كان لا يعرف طعم الالم ، ولم يلون وجنتيه السقم .

ان الالم مطهر النفوس البشرية ، ومنهل الانسان ، في ائتلاق روحه ، وصفاء وجدانه !

انثر البسمات ، وانا اتمزق

لكنني وانا في مثل حرقة النادم على ما تسببت به من الالم النفسي الممض، اقابلك بابتسامة الكابر من جديد، واظهر انني استنقذت نفسي من كل السم ، فالحمية والحيوية دافقتان ، كما لو لم يكن بي شيء من وجيع المرض ، وكما لو كنت شفيت كاهنا ما يكون الشفاء !

على انك لو تعلمين ما انا فيه من صراع داخلي ، ومن حرص على ان انثر البسمات ، وانا اتمزق ، تكفيرا عن آلامك بالامس ، لكنت هتفت في وجهي :

« ايها الجاني بحق نفسك ، لذ بسريرك ، وبعدها تم الي سليما معافى ! »

لكنك ، وانت في جانبي ، كنت تمدينني بحنانك الحلو الحبيب ، وتسكبين بين اجفاني المتعبة ما اراه اهنا من الهناءة، وامتع من لذة الشفاء !

كنت احس لذة المحروم ، وقد اذن الله له بوصال طالما تمناه ، بعد طول النوى ،

كنت احس انك اعدت روحي الى جسدي ،

وشكرت للمرض انه جعلك الى جانبي ، تشاطرينني حتى ادويتي المرتجلة التي تلموها لي من كل جانب !

دفء انفاسك الولهى

لحظة احتوانا المطرح المؤتلق ، في حرارة اللقيا ، بعد طول اشتياق ، وتهاوينا على وصال دافيء نشوان . كدت في لحظة من لحظات جنوني ان تضعفي ، وان تتولي لي اشياء ما احببت سماع شيء منها .

ولقد حرصت على استنقاذ نفسك من براثن الضعف ، وعلى محو كل سبب يثير شقاءك اليوم ، او كان آثاره في الماضي ، فما احب لك ، حتى في لحظة الضعف ، ان تشوهي صورتك الحلوة في خاطري .

وكم اكبرت فيك المعية الذكاء ، اذ رحت تدافعين عني ، وانــا اتهم نفسي بالضعف امام جمالك الاخاذ ، وسحرك الفاتن الذي يدير الرؤوس ، وتختصرين الاجابة بالفاظ تلائل !

ويا احب النابس عندي ،

تكبرين في ضميري ، كل يوم ، وكل يوم اكتنه عبر ذاتك كنوزا وفضائل ، تأعيش كما تحبين لي ، مبرا مــن الرذائل ، بعيدا عن المفاسد والشرور !

وتعمقين في نفسي حب الحياة ، وحرصي على اداء الخير لبني البشر ، ولو قابلوني بشر لا تطيب به نفسي !

ولأنت ، في الضعف والقوة ، تعرفين انني لا اطلب منك المزيد ، الا لان حبي لك لا مزيد عليه ،

وانت تعرفين ان المزيد مما اطلب هو ان تكوني لي ، بجانبي ، تبثين في وجودي دفء انفاسك الولهى !

عودة الموسم الاخضر

وعاد الموسم الاخضر ،

وها نحن بين يدي هوانا ، نترع كؤوسا ، وننهلها صافيات رائعات !

ها نحن نغفو الاغفاءة النشوى ، في عناق لا ينتهي ، ونزرع الدنيا حولنا حياة حلوة غناء !

ان الغياب الذي اضنى ،
والشوق الذي برح ،
والانتظار الممل الذي كاد يقتل ،

كل ذلك يا حلوتي المغناج ، عاد حضورا لا غياب بعــده ،

وعناق يلهبه شوقنا ، ولا يضيمه ،
ولقاء يطيح بملل الانتظار .
ان تكسر اهدابك الظماى الى لهيب شفتي ،
وارتعاشة شفتيك التائقتين لجنون قبلاتي ،
وانثناء خصرك ، واضطراب صدرك بين يدي ،
ان كل ما في ذاتك من ثورة الروح والجسد ، لاغلى عندي من كل ما في الارض من كنوز !
عاد الموسم الاخضر ،
وعدنا نغني كما كنا نغني !
نغني حبنا الغالي ،
نتقف الاطيار عند شباكنا ، تسترق السمع الى بعض

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

التراتيل ، وتغض الطرف عما ترى من جنون اللقاء !!

احرص على شرف صداقاتي

احس ، وانا اخط اليك هذه السطور المتعبة ، ان الكلمات تختنق في فمي ، وانها تحترق بين اصابعي . فلقد انتابني من التردد في كتابتها اليك مـــا اقتضى مني ليالي واياما كانت ، على ما عانيت فيها من صعوبة الموقف ، اجمل الاوقات التي سوف تظل الى الابد ملونة بأحلى الذكريـــات .

واذا كان لي وحدي ان اعرف صدى مـــا يتألق في اعماق ذاتك من روح طيبة نبيلة ، ومن حس رهيف رقيق ، وقلب صادق طاهر ، فانا وحدي ايضا اعرف مدى صلابة ارادتك ، ومدى قوة شخصيتك ، وقدرتك علـــى مجابهة الواقع كيفما كان ، سواء انسجم مع احلامنا ومطامحنا ، ام صفعنا بالحقيقة المرة التي لن تقوى على محو ما بيننا من التعاطف الرائع ، والمحبة الابدية .

انت تعرفين ، يا عزيزتي وصديقتي وصفية وجداني ، ان العاطفة العاطرة الطيبة التي ربطت بيننا ، لا يمكن ان تسمو عليها عاطفة ، في هذه الدنيا ، وان طهارة النفس التي حرصنا عليها في مودتنا المتبادلة ستبقى مدى عمرنا دليلا على ان الانسان الكبير الخلوق ما يزال موجودا فوق هذه الارض .

واجمل ما في حكايتنا انها بدات واستمرت وتعمقت وسيطرت على كياننا ، من حيث لم نكن نقصد . وتلك آية الله في الناس ، تتجسد في المحبة العفيفة السامية التي تجمع قلوب الاصفياء ، وتجعل لعمرهم معنى ، ولحياتهم طعما مكونا بالسعادة والفرح .

صديقتي ، ان وجودك في هذا البلد ، جعلني احن الى كل ذرة تراب فيه ، وحول رمال صحاريه في نظري الى جنائن وارفة الظلال ، وصير لفحات شمسه المحرقة نسائم محمولة على اجنحة الضوء والعطر والجمال . وما احسبني في حاجة الى تأكيد ثقتي بان هذا هو شعورك ايضا ، حين اكون هنـــا ، فلا تضطرني مهام الحياة الى السفر بعيدا عنك ، في عواصم الدنيا ، وفقا لاهواء الرياح الاربع !

ولقد كان صوتك الدافيء الساحر ، وسيبقى الى الابد ، اروع سيمفونية سمعتها او اشتهي سماعها في حياتي . وانت تعرفين مثلما اعرف ان الساعات الطوال التي كانت تنعقد بيننا ، عبـــر الهاتف الحيي ، كانت تمضي كالثواني الهاربة ، ولا عجب ، فـــان هنيهات السعادة في عمرنا لا تطول .

لكنني ، وقد رايت من اندفاعك العاطفي الحبيب ما اسعد قلبي وجعلني اخاف عليك من نفسي ، في آن معا ، احس بأنني اخادع ضميرك واخادع ضميري ، ان لم اقف الى جانبك لكي اوقظ عينيك على الحقيقة التي لا تحتمل جدالا او مغالطة : فانت تعلمين كل ظروفي ، بل تعلمين ان كل ظرف منها كاف وحده للحيلولة دون اندفاعك نحو انســان يحبك ، لكنه لا يستطيع ان يعطيك شيئا غير نبل الصداقة ، ولا يقبل ان ينال منك شيئا اكثر من نبل الصداقة .

وثقي انني ، لولا هذه الظروف ، لما كنت امني النفس بانسانة اطيب منك معدنا ، او انبل خلقا ، او اطهر روحا وجسدا ، فان ما انت عليه من القيم المثلى ، ومن المزايا الحميدة ، لما يجعلني افتخر بك ، واعتز بصداقتك ، واحمد الله على انه لم يحرمني فرصة اللقاء بك ، ومبادلتك مودة بمودة ، وعاطفة بعاطفة .

على ضوء هذه الحقيقة ، اريدك شجاعة في مجابهة الواقع ، وقوية في اتخاذ قرار تسمحين لي ان ارسم لك خطوطه : ان الفرصة الآن متاحة امامك لربط مصيرك بمصير الانسان الطيب العصامي النبيل الذي نعرفه كلانا ، فهو يحبك حبا كبيرا ، وذلك وحده كاف لتلوين حياتك المقبلة بالسعادة التي اتمناها لك من اعماق القلب .

هذا هو القرار الوحيد الذي احب ان تتخذيه بشجاعة وجراة ، وان تتحملي نتائجه بقوة ورضى ، واعلمي انني الى جانبك ، حاضرا وغائبا ، آخذ بيدك ، واقدم لك كل مؤازرة استطيع اليها سبيلا . وهذا القرار الحكيم هو لاجلك انت اولا ، ولاجل الانسان الرقيق الذي يحبك ثانيا ، وهو اخيرا لاجل راحة ضميري كي اطمئن الى ان الانسانة الرائعة التي دخلت قلبي دون ما استئذان ، لم تبعد بها احلامها عن طريق الحياة المستقيم . وثقي ان لي من خبرتي في هذه الحياة ، ومن كرامة نفسي ، وحرصي على شرف صداقاتي ، ما جعلني اتخذ عنك هذا القرار الذي يحفظ لنا الى الابد ما نتبادله من معاني الحب والاحترام ، ولا يسبب الما يضاف الى آلامنا الكثيرة ، ولا ندما على يوم كان لنا فيه لقاء حميم .

- ويا احلى احبتي ،

ابارح هذا البلد ، وانا لا اعلم ان كانت ظروفي ستتيح لي زيارته مرة جديدة . ولهذا اكرر لك القول بأنني احس الكلمات تختنق في فمي ، وتحترق بين اصابعي . لكنني وانا القي عليك تحية وداع يمني النفس بلقاء جديد ، اصدقك القول انني اترك عندك بعض نفسي ، فان ما احمله لك من الحب لا يستطيع ان يحمله رجل لامراة . ولسوف تظلين الشعلة الوضيئة التي تنير ظلمات ايامي ، والزهرة العاطرة التي تملأ حنايا قلبي بطهارة العبير .

ولعلك تعذرين ما قد تسببه هذه السطور المتعبة لك ، بل لنا معا ، من حرقة الحنين الدائم ، فهي ان عذبتنا الآن ، اسعدتنا في الغد .

فمن اعماق هذا القلب الذي احبك بصدق وشرف وكبرياء ، ابارك لك بالحياة السعيدة القادمة ، مؤكدا لك ان كل مشاغل الزمن الآتي لن تنسيني ، يوما ، وجهك الحلو الحبيب ، وان حبك الطاهر سيظل اجمل ذكريات عمـــري !

فوزي عطوي

عاشقة الضوء

بقلم حسني سيد لبيب

تتعــد في شـلالات الضـوء . الشـعر اسـود طويل متموج . البشرة بيضـاء ناعمة . العينان شـاردتان . اليدان ـ يداها ـ تمران علــى الجسد البض . تغتسـل في الضـوء . حـزم الضـوء تتسـاقط تباعا ، تستضيء بها مكامن خفية . ذراعاها ترتفعان في انتشـاء ، وتتراقصـان فرحا وطربا لكن الضـوء غامر فياض . والشـوق يستكن في المهجة ، يسبر الاغوار . ما لليل وتوق الانسـان الى المجهول ؟. ما للاحلام وكيف تكون ؟ . بودها لو تمزق قماط الليل ، لـو تشق صدر الفضاء ، لو . . .

تقعد في شـلالات الضـوء . تغزل منه ثوبا ابيض . تضمه بين راحتيها جنينا كالسنا ، بهي الطلعة ، وضاء الجبين . تنهض . تخطو خطوات في الرقعة الضيقة . لا تريد ان تفارق الضوء ، لا تريد ان تبارح المكان . الضوء ساطع ، ويوحي بالنقاء ، كأنها تغتسل ، تتطهر ، تتعطر . تمشط شعرها بأناملها ، تتخلـل طيـات الشعر ، فيتسرب الضوء . تبتسم فرحة بالفيض الغامر .

القمـــر يغازل الوجه الصبيح . والنجوم ترشقهـا بسهام ناريــة . وصوت آمر من جوف الليل ، أن تعالي ، تعالي . . . تتابى . تظـل منتشية بالضوء . الضوء نهر قدسي . يغويها الصوت الآمر . تشد يدها بقســوة ، ان تعالي ، تعالي . . . سآخذك الى حيث الامان . هنـا الضوء يحرق ، هنا الضوء يشعل . . يصير نارا ، يصير بركانا . تعالي يا امراة ، ادخلي الـى رحمي ، الى حضني ، حيث الامان والسكينة .

عيناها مذعورتان . تقاوم . ترفع يديها الى السماء . تدعو . تستنجد . ترى الحب في الضوء . تراه في سناه . تكاد . . تكاد ان . . تكاد ان ترى الابداع ! . تتلوى . تتعذب . تطلب الرحمة ، المغفرة . تقاوم . تظـل تقـاوم .

الصوت الآمــر يدوي . يوجـع الاذن . الشمس تحرق . تعالي يا ابنة الليل .

قيدت القدمان واليدان واللسـان . قـص الشعر الهفهـاف . عصبت العينان . وتلونت المرئيات بالاحمر القاني والاسود القاتـم . بـدات رحلة العذاب . لكنها لم تستسلم القلب لم يزل يقاوم . لم يزل يشرئب لشعاع ضوء . تجتد . تلطم الخد . تندب الحظ . تقتات الصمت . تأنف الحياة . تتابى . تقاوم . مزقوا ثوبها الابيض ، صبغوا الوجـه بالاصباغ والالوان . ذاقت كل صنوف الهوان . تتمتم خاشعة :

الضوء مسافر مغترب .

وحين يعود . .

سيلقاني عذراء .

وازف النور في رحابه .

تنتظر . ابدا لا تمل الانتظار . لم يزل ماء الحياة متدفقا في عروقها . برغم الظلمة الحالكة ، وبرغم كاذبات الاماني ، وبرغم ما حولنا من سراب . لم يزل قلبها نابضا آملا . تغزل ثوب العفة بيديها المتعبتين . تقرب الثوب من انفها فيتعطر ، وتتساقط من عينيها حزم ضوء اخضر ، فيتطهر .

المعاناة قدر الانسـان .

لا بد ان تكابدى ، وتكابري .

لا بد ان تصمتي ، وتصمدي .

هي طبيعة الاشياء والموجودات .

الضوت الآمر يقهقه ، يهــزأ ، يصخب ضجيجه في وديان الصمت .

تهب واقفة . تتمطى . تفيق . اغنيات الليل زائفة . الثوب المغزول يشع ضوءا خافتا . تفرح . تضمه في حنان ، فـاذا بالثوب يشخص قبالتها ، رجلا شهما عريض المنكبين .

اهلا حبيبي .

حللت سهلا .

ونعمت مقاما .

كان ومضة امل ، كالبرق الخاطف . واذا بها تواجه جبروت الليل الحالك ، وحيدة ترتجف . وفي يدها تكوم الثوب المغزول . ترتق ما تهتك منه .

خفق قلبها فجأة . تراءت قبالتها حمامتان بيضاوان . عجبت . امن جوف الليل تأتي الحمامات البيضاء ؟ . كان سرابا . وظلت واقفة متحفزة

تتطلع الى جبهة الغيب . علهـا تعانق حبيبها المسافر . هي لم تره ، لكنها تحبــه ! . رسمت صورته في قلبها بخيوط حريرية . لونت شفتيه بقبلات الحب السكرى . كحلت عينيه باشواقها المعربدة . ضمخت اهابه بانفاسها الحرى . شكلت قسماته بأناملها الدقيقــة الحانية . حتمـا سيعود . هو قبس من النور القدسي : وعليها ان تتحمل ، وتنتظر . . .

الليل العملاق ، المارد ، يضيق الخناق حولها . يقيد الجسد . لكن شيئا سرمديا يعربد داخلها ، هازئا ساخرا من مقدرات الايام . يعزف في غربتــه سيمفونية حالـة شجية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طاب نفسا

لا تلمه ان شكا من دهره	فهو بين الناس منبوذ غريب
رحب الكون ولكن لم يسع	بعض ما في صدره الكون الرحيب
يتحداه غراب ناعب	ويجاهيه بعيد وقريب
ذهب الارض تراب عنده	كيف يغرى بالتراب العندليب
خلصت من حسد نظرته	وتعالت يده عما يريب
طاب نفسا ولسانا ماذا	سالوا عنه فقل هذا الاديب
بوانس ايرس ـ الارجنتين	زكي قنصل

النغمات .

تتوق الى النور . تدعو . تستصرخ السماء .

وتغسل الدموع وجهها النوراني .

الصوت الآمر اعيته الحيل . ما كان يظن انه سينهزم . غازل المراة واغواها . اسكنها صاحب الصوت في قصر منيف ، وبدل حالها من شظف العيش الى النعيم . المراة شاردة ذاهلة . الصوت الآمر يصرخ : يا امراة ...

تتطاول الى عنان السماء . قص الشعر ، لكن انفها لم يجدع .

يا انت ، يا ظالم ..

ما عدت آبه بصرخاتك ..

ولست عابئة باوامرك ..

الصوت الآمر يخنق خفقات الضوء المتسللة في خلسة من شقوق ضيقة بالقصر المحاصر .

ترقص هي في ردهات القصر رقصة الخلاص . تتطلع الى النور ، ولا تزال ممسكة بالثوب المغزول . حين ياتي ، سالبسه الثوب . سيغدو فتى يافعا بهيا .

يا الحبيب . اقدم ..

تعال ..

من جوف الليالي الحالكات ..
تعال ..

هاك ثوبي ، عفافي ، عذريتي ..

فتعال . اقدم ..

لم تزل ترقص رقصة الخلاص ، تواقة الى النور . يتراءى لها القصر معبدا وثنيا .. ستحل عليه *اللعنة* ، وتتقوص اركانه ، ويصير حطاما زائلا ، ثم ياتي الضوء .. ومن سناه يشرق نور الحبيب .

تظل ترقص . للنور ترقص . للحبيب ترقص . يتلاشى القصر كالغيم . تعاني الما بالغا . تصرخ بكل ما لديها من قوة . تصرخ وتستصرخ . تتلوى . تكابد آلاما مبرحة . لكنها تظل ترقص للغد الآتي ، وللفجر الطالع ، وللنور ...

تتمطى . ويتقهقر الليل مهزوما . تسجد . تركع . تدعو . تستغفر . تستعفف . تستدني الضوء الابدي . تفك القيد من اليدين والقدمين ، تقيل عثرة اللسان . يستطيل الشعر الهفهاف . ويغمر الضوء جسدها كله . وتتراقص ذراعاها في الضوء الساطع . تغتسل . تتطهر . ولم يزل الثوب المغزول في قبضة يديها .. ويهتف الفؤاد :

في موكب الضياء .. اقدم حبيبي ..

وتزهو بالنور . تعب منه اقباسا في راحتيها ، وتصبه على جسدها الاملس الناعم . قد تتهقر الصوت الآمر ، تحشرج ، ومات صداه ، ثم تلاشى .

وفي غمرة الفرح ، شيء دفين يتمرد عليها . تود ان تسبر اغوار الضوء القادم .

اتاها الحبيب ، فتطلعت اليه عيناها المشتاقتان . احتوته بين ذراعيها . ودت لو تغيب في غيبوبة مع نشوة اللقاء . ودت لو تفنى نفسها فيه ! . ودت لو تغوص في قلب الاشياء . آه ، ايتها الاقدار ... تنهدت .. آه لو ألمس قلب الاشياء ! .

وكان الحبيب يئن من هول ما لاقاه في غربته .. ! .

وصوته الضعيف الواهن ، لا تكاد تسمعه ..

« رحلة العمر قضيتها في عناء ومشقات ؛ واوشك نهاري ان يغيب ! » .

القاهرة — حسني سيد لبيب

محمد العدناني

عـثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

البس لا البس

ويطلقون على الهرة الاهلية اسم (البس) بكسر الباء ، والصواب هـو البس (بفتحها) كمـا قال ابـن عباد ، والزمخشري ، والقاموس ، والتـاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن الذي قال انها حجازية ، والوسيط .

وذكر القامس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ان العامة تكسر الباء وتقول : (بس) .

ويجمع البس على بساس (بكسر الباء في الجمع) .

البسط

ويخطئون من يستعمل البسط بمعنى السرور ، ويقولون انها من اقوال العامة . ولكن : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « فاطمة بضعة مني يبسطني (بضم السين) ما يبسطها ، ويقبضني (بكسر الباء) ما يقبضها » . وروى الخفاجي انه جاء في المشارق : « معناه يسرني ما يسرها . ويسوءني ما يسوءها ، لان الانسان اذا سر انبسط وجهه واستبشر ، ولذا يقال : انبسط اليه : اذا هش واظهر البشر (بكسر الباء) . وفي ضده يقال : انقبض » .

وذكر البسط بمعنى السرور ايضا كل من المحكم . ومجـاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس . والخفاجي ، والتاج ، والمـد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والوسيط .

وفعله : بسطه يبسطه بسطا . ومن معاني بسط : بسط الشيء : نشره . بسط يده او ذراعه : فرشها . بسط كفه : نشر اصابعها . بسط يده في الانفاق : جاوز القصد (مجاز) . بسط يده اليه بما يحب ويكره : مدها . بسط لسانه اليه بالخير او الشر : اوصله اليه (مجاز) . بسط الله الرزق لعباده : كثره ووسعه (بتضعيف الثاء والسين) مجـاز . بسط المكان القوم ، او الفراش النائم : وسعه (بكسر السين) مجاز . بسط فلانا على فلان : (أ) سلطه . (ب) فضله (بتضعيف ثانيهما) . بسط العذر : قبلهُ . بسط من فلان : ازال احتشامه (مجاز) . بسط عليه : ضربه (مجاز) . .

البث الاذاعي المباشر

ويقولون : البـث الاذاعي المباشـر (بكسر الشين) ، والصواب : المباشر (بفتحها) ، لان الفعل هو : باشر . الامر يباشره مباشرة وبشارا ، يعني : تولاه بنفسه .

ونحن نباشر البث الاذاعي ، اي نتولاه بأنفسنا ، فنحن مباشرون (بكسر الشين) ، والبث الاذاعي مباشر (بفتحها) من قبل (بكسر ففتح) المذيع ، الذي يكون للبث مباشرا (بكسر الشين) .

ومن معاني الفعل باشر : باشر الفعل : فعله من غير وساطة . باشر النعيم فلانا : بدا عليه اثره . باشر الشيء بالشيء مباشرة (بفتح الشين) : جعله ملاصقا له .

وفي الحديث : « اللهـم انـي اسألك ايمانا تباشر (بكسر الشين) به قلبي » .

بشثبت بالضيفان أبش بهم

ويقولون : بششت (بفتح الشين الاولى) بالضيفان ابش (بضم الباء) . والصواب بششت بالضيفان (بكسر الضاد) أبش بهم (من باب علم يعلم) : ادب الكاتب ، والصحاح ، والنهاية ، والمختار الذي اكتفى بذكر يبش (بفتح الباء) دون ان يذكر بابه ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وروى اللسان والتاج بيتا لذي الرمة ، وردت فيه باء (نبش) مكسورة :

الم تعلما أنا نبش اذا دنت ... باهلك منـا طية وحلول

(طية : بكسر فتضعيف) وقالا : ربما كان مما جاء على فعل يفعل (بكسر العين فيهما) .

وذكر المد ان هناك بيتا لرؤبة بن العجاج ، ووردت فيه الباء مكسورة في المضارع ، ولكنه لم يذكره .

وفعله بش يبش (من باب علم يعلم) بشا وبشاشة ، فهو بش (بفتح فتضعيف) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ،

والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن . والوسيط . وبشاش (بفتح وتضعيف) : اللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط. وباش (بتضعيف الشين) : محيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن . وبشوش (محيط المحيط واقرب الموارد) .

ارجح ان عدم ذكر كل المعاجم (التي لدي) ، لاسم الفاعل (باش) هو لانه قياسي ، مثل : فر فهو فار ، وعم فهو عام ، وشذ فهو شاذ .

اما (بشوش) فأرجح ان محيط المحيط اخطأ في ايراده اياه ، لانني لم اجده في سوى اقرب الموارد ، الذي نقله عن محيط المحيط — كعادته — دون تمحيص .

لذا أنصح بالاكتفاء باستعمال : بش (بفتح فتضعيف) ، وبشاش (بفتح فتضعيف) ، وباش (بتضعيف الشين) .

الباشق (بفتح الشين وكسرها)

هنالك نوع من جنس البازي ، من فصيلة العقاب النسرية ، وهو من الجوارح ، يشبه الصقر ، ويتميز بجسم طويل ، ومنقار قصير بادي التقوس ، يخطئون من يطلق عليه اسم الباشق (بكسر الشين) ، ويقولون ان الصواب هو : الباشق (بفتح الشين) ، كما جاء في جامع الكرماني (نقلا عن المد) ، وفي اللسان ، والقاموس ، ومحيط المحيط الذي قال ان الباشق (بكسر الشين) عامية ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن : اجاز فتح الشين وكسرها كليهما : المصباح ، وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

وروى المد ان السيوطي اكتفى في ديوان الحيوان بذكر الباشق (بكسر الشين) . ويقول الدميري ان كنيته هي ابو الاخذ . ويقال ايضا ان اصل كلمة باشق فارسي ، وهو معرب باشه .

بصبص

ويقولون : حرك الكلب ذنبه طمعا او ملقا ، وهي جملة لا عيب فيها سوى طولها ، ويمكننا ان نستعيض عنها بكلمة واحدة ، هي : بصبص .

وممن ذكر الفعل بصبص : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وابن سيده ، ومجاز الاساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومخيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط . وذكر التاج قول الشاعر :

ويدل ضيفي في الظلام على القرى اشراق ناري ، وارتياح كلابي
حتى اذا ابصرنه وعلمنه حيينه ببصابص الاذناب

قال : هو جمع بصبصة ، كأن كل كلب منها له بصبصة . اما (ارتاح للشيء) فمعناه : مال اليه واحبه .

ويجوز ان نقول : تبصبص الكلب ايضا ، كما قال الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

بصري (بكسر الباء وفتحها)

ويخطئون من ينسب الى مدينة البصرة (بفتح الباء ، العربية العراقية ، بقوله : بصري (بفتح الباء) ويقولون ان الصواب هو بصري (بكسر الباء) ، كما جاء في معجم البلدان ، وهمع الهوامع ، ومحيط المحيط .

وذكر البصري (بفتح الباء) والبصري (بكسرها) كليهما : اللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمتن .

واستشهد اللسان بقول عذافر :

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

(فاتحا الباء فيهما) .

وذكر محيط المحيط ان هذه المدينة تسمى بصرة (بفتح الباء وكسرها) ، وبصرة (بفتح ففتح) ، وبصرة (بفتح فكسر) .

واكتفى الوسيط بفتح الباء بقوله : البصرة (بفتح الباء) مدينة الخ ... ، ونحاة البصرة (بفتح الباء) .

بضع وثلاثون غرفة

ويخطئون من يقول : في المدرسة بضع وثلاثون غرفة ، معتمدين على قول الصحاح : « بضع في العدد بكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها ، وهو ما بين الثلاث الى التسع : تقول : بضع سنين ، وبضعة عشر رجلا ، وبضع عشرة امرأة ، فاذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ، فلا تقول : بضع وعشرون » . ولكن :

كان الكرماني قد اجاز ذلك في الجامع ، وقال : « ان افصح الفصحاء ، الذي هو النبي (صلى الله عليه وسلم) تكلم به » .

وجاء في الحديث : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع وعشرين درجة » . وجاء في حديث آخر : « بضعا وثلاثين ملكا » بكسر باء (بضع) في الحديثين .

وقال الفراء : « ان البضع (بكسر الباء) لا يذكر الا مع العشرة والعشرين الى التسعين ، ولا يقال فيما بعد ذلك » . يعني انه يقال : مئة ونيف (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ، ولا يقال : بضع ومئة ، ولا بضع والف .

وقال ابو تمام :

اقول حين ارى كعبا ولحيته لا بارك الله في بضع وستين
من السنين تملاها بلا حسب ، ولا حياء ، ولا قدر ، ولا دين

(بكسر باء بضع) .

وخطأ الصاغاني ما قاله الجوهري في الصحاح . وايد الخفاجي الكرماني في رأيه . وذكر التاج أن فتح الباء في (بضع وبضعة) افصح .

وانا ارى ان كسرها افصح ، لانها وردت في القرآن الكريم مكسورة الباء مرتين . ولان الراغب الاصفهاني في مفرداته ، والمغرب ، والوسيط اوردوا الباء مكسورة ايضا. وروى اللسان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

والفراء ، وابي عبيدة ، وابي زيد الانصاري ، وابي تمام كلمة (بضع) مكسورة الباء . وقال الصحاح ، والمختار ، والمصباح : تكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها ، وهذا يعني ان كسر باء (بضع) اعلى .

البطريق

ويطلقون على القائد من قواد الروم اسم البطريق (بفتح الباء) ، اعتمادا على قول محيط المحيط والمتن ، اللذين عثرا ، لان الصواب هو : البطريق (بكسر الباء) . قال امية بن ابي الصلت :

من كل بطريق لبطـ ريق نقي الوجه واضح

(بكسر الباء فيهما) .

وممن ذكر البطريق (بكسر الباء) ايضا : الصحاح ، وابن سيده ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، وعثرات الاقلام في اللغة للمغربي ، والوسيط .

ويقولون ان كلمة (البطريق) كلمة لاتينية معربة .

وجاء في مستدرك التاج : « ويقال انه عربي ، وهي لغة اهل الحجاز » ، واستشهد ببيت امية بن ابي الصلت .

ومما يرجح ان الكلمة عربية هو اطلاق لقب (البطريق) على امرىء القيس بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد .

ويجمع البطريق على :

(١) بطارقة : جاء في النهاية : [في حديث هرقل : « فدخلنا عليه ، وعنده بطارقته من الروم » . وانشد ابن بري :

فلا تنكروني ان قومي اعزة بطارقة ، بيض الوجوه كرام

(٢) وبطارق . قال ابو ذؤيب :

هم رجعوا بالعرج ، والقوم شهد هوازن تحدوها حماة بطارق

(٣) وبطاريق .

ومن معاني البطريق : (ا) المختال المزهو ، (ب) والسمين من الطير ، (ج) والحاذق بالحرب ، (د) ورئيس رؤساء الاساقفة ، (ه) والعالم عند اليهود ، (و) وجنس من طير الماء ، قصير الجناحين سمين ، وهو كثير في الاصقاع الجنوبية .

هذه البطة انثى ، هذه البطة ذكر

ويظنون ان كلمة (البطة) لا تطلق الا على انثى هذا الحيوان. والحقيقة هي أنها تطلق على الانثى والذكر كليهما : ادب الكاتب (باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

ومما جاء في الصحاح ، واللسان ، والتاج : « يقال بطة انثى وبطة ذكر » .

وليست التاء المربوطة في (البطة) للتانيث ، بل هي لواحد من الجنس كالحمامة والنعامة ، فيقال : هذه بطة للانثى والذكر .

والبط كلمة اعجمية معربة ، كما يقول معجم مقاييس اللغة ، واللسان ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والتاج ، والمد .

اما صوت البط فهو البطبطة (بفتح فسكون وفتح فسكون) . وتجمع البطة على :

(١) بط : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) وبطط (بكسر ففتح) : مستدرك التاج والوسيط .

(٣) وبطوط (بضم الباء) : محيط المحيط واقرب الموارد .

(٤) وبطاط (بكسر الباء) : المد وذيل اقرب الموارد .

البطالة (بفتح الباء وكسرها وضمها)

يقول الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « عثرات الاقلام في اللغة » : صاحب بطالة (بكسر الباء) اي عاطل من العمل . ويعثرون فيفتحون الباء .

والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول : (ا) البطالة (بفتح الباء) : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والمد ، ومعجم كنز اللغة لابن معروف (عربي فارسي) ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط. (ب) والبطالة (بكسر الباء) : اللسان ، والمصباح (افصحها) ، ومستدرك التاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمغربي ، والوسيط . (ج) والبطالة (بضم الباء) : المصباح ، والمد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله بطل (بفتح الطاء) يبطل (بضمها) بطالة (بكسر الباء وفتحها وضمها) فهو بطال (بتضعيف الطاء) .

البعكوكة

ويظنون ان كلمة بعكوكة ، التي يطلقونها على مجتمع الناس ، هي من اقوال العامة ، وهي فصيحة بضم بائها وفتحها .

فممن ذكرها بضم الباء : ابن دريد ، وابن سيده في المخصص ، وتذكرة علي راتب ، والوسيط .

وممن ذكر الضم والفتح كليهما : اللحياني ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وذكر اللحياني ، واللسان ، والتاج ان فتح باء البعكوكة نادر .

وذكر الصحاح في الهامش ان اللحياني هو الذي حكى فتح الباء . وذكر القاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ان الباء قد تفتح . وهذا يدلنا على ان ضم باء (البعكوكة) اعلى من فتحها .

وتجمع البعكوكة على : بعاكيك ، وبعكوكات (بضم الباء) ، وبعكوكات (بفتح الباء) .

محمد العدناني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دار المرضى

الدكتور محمد رجب البيومي

المنصورة — مصر

اسير لها سامان منقبض الصدر … وان كنت لا أمضي لها غير مضطر
اسير لنفسي أو لغيري ساعيا … اليها ، وفي الحالين يغلبني صبري
احس شقاء الناس قبل لقائهم … بها ، فاداري غصتي مسلما امري
وأسمع من قبل الدنو انينهم … يرن باعماقي فارجف في سيري
وأعرف أن الموت أقرب ما يرى … بهذا الحمى ، اذ قام منه على شبر
الاقي ازدحام الوافدين طوائفا … وكل له في جسمه ألم يغري
فاعلم أن الشر يفتك بالورى … وليس بمسطاع مقاومة الشر
واشفق من مراى الاسرة فوقها … تماثيل أشباح تصايح في ذعر
كان ارتفاع الحلق بالآه مدية … مدية حمراء توغل في نحري
هنا الطفل ملتاعا يكابد داءه … ويسأل عما قد جناه فلا يدري
تجاوره أم تكابد شجوها … وتحقي هدوءا شف عن لاهب الجمر
هنا اللص مذهولا يحس كانما … يد فوقه تقتص منه على الفور
فيرسل للرحمن صرخة تائب … ويقطع عهدا أن يعود الى الطهر
هنا المكثر المثري يهون ثراؤه … عليه ، ولم ينقذه في ساعة العسر
لقد ظن ان المال يمنع داءه … فما باله يشكو الضنى كذوي الفقر
هنا تذهب الاحقاد لا خافق غلى … بسوء ، ولا نفس تتوق الى الغدر
ترى خصمك العاني طريحا بدائه … فتنظر محزونا ، وتغضي عن الثار
ايشمت ذو لب بعان وما له … بان يتوقى الداء عهد على الدهر
رايت بلايا الناس تقضي لخيرهم … كما يسلم الليل البهيم الى الفجر
كذا يتصافى اللد في ساحة الردى … فما أحد يبغي النزال لدى القبر
هنا الغادة المفتان تشكو ذبولها … كظامئة في الزهر تشكو نوى القطر
تثيران معنى الشجو في كل مهجة … وتستقطران الدمع من مقلة الصخر
وبي ذكريات لا تزال تذيبني … كما ذاب تحت النار صاف من التبر
لطاهرة غيداء البسها الضنى … كسا شاحبات من غلائله الصفر
نزلت بها دار السقام مؤملا … شفاء لها أعتده أيسر اليسر
ولم أدر أن الارض بعد دقائق … سترتج بي كالراسيات لدى الحشر
وأن كياني سوف ينهار طائرا … كما فعلت هوج العواصف بالذر
واني ساختص الطبيب بلعنتي … والقي عليه وحده أفدح الوزر
تجاهل هول الخطب اذ واجه الردى … واسرع نحو الباب في خفة الطير
قد اعتاد أن تلقى المنايا بوصفها … ظواهر كون كالصباح وكالظهر
فلا دمعة تنهل منه لدى الاسى … ولا زفرة توحي بمعتلج الصدر
أهذا الذي اسلمته نور مقلتي … لاصبح أعمى العين مضطرب السير
يخاصمه الوجدان مني منددا … فاما أدمت الفكر او ليته عذرى
اتاتي الى نجد لتلقى مصيرها … وقد تركت خير الاطباء في مصر
بنت أملا كالصرح فانهار فوقها … وفوقي فاردانا ولما نكن ندري
ازورك يا دار السقام وخاطري … باشجانه الحري كملتطم البحر
ازورك حران الفؤاد وانثني … كما جئت ملتاث الخطى شارد الفكر
ويصحبني شجوني طويلا فان أرد … مجافاته استشرى وأمعن في قهري
لي الله ، ياتيني السرور هنيهة … فاجفوه حتى لست منه على ذكر
فان حل شجو لابس النفس موغلا … باحشائها مستبطنا أعمق الغور
يلازمني كالظل أنشد هجره … فيسري ورائي ملحفا حيثما أسري
اذا كانت الدنيا تلاقي رفاقها … باوصابها الجلى وأوجاعها النكر
فاجدر أن تطوى العداوة بينهم … كفاهم شقاء الداء ينذر بالشر
انصلى مع الداء العداء كانما … نفضل ان نزداد وقرا على وقر
ونعتد بطن الارض مهد رقادنا … ونسرف في جلب الشقاء على الظهر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعرات معاصرات من الاقطار العربية

بقلم روز غريب .

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

عـدد الشاعرات المعاصرات في الاقطار العربية يناهز الخمسين ، كما يدل الاحصاء الذي استطعت الحصول عليه . ولا ريب إن هناك اسماء لم تصلني ولا استطيع التكهن بعددها . الا ان اسماء شاعرات اليوم كاسماء شاعرات الامس ، لا تكفي للحصول على انتاجهن . وكما ضاع اكثر الشعر النسائي عند العرب القدامى ، يبقى كثير من شعر نساء اليوم مجهولا لضعف وسائل التوزيع والاعلام وصعوبة الوصول الى الدواوين المنشورة منه او المخطوطة .

هناك شاعرات وقفن على الشعر معظم اوقاتهن . استهوتهن المعاناة وسلوك الدروب الشائكة ، حتى شارفن القمم ، واستوى لديهن انتاج يمتاز بالجودة والشعبية . منهن فدوى طوقان شاعرة الاردن ـــ فلسطين ، ونازك الملائكة شاعرة العراق .

اما في لبنان حيث يزيد عدد الشاعرات على العشرين ، فان اللواتي يكتبن شعرهن بالفرنسية يكاد يزيد على اللواتي يكتبن بالعربية . كما انه في مجال المفاضلة ترجع كفة الشاعرات باللغة الاولى . وتبرز بينهن اثنتان او اكثر . اندريه شديد (صعب) ، اللبنانية الاصل ، التي تثقفت في مصر وامضت شطرا من شبابها في لبنان ، ثم استقرت في باريس حيث وضعت اكثر مؤلفاتها واستوحت فيها لبنان والشرق العربي ، لا سيما في انتاجها القصصي والمسرحي . وفينوس خوري الشاعرة والقاصة التي تثقفت وكتبت معظم انتاجها في لبنان وهي الآن في باريس تمارس الكتابة والصحافة . وسأعود في نهاية هذا المقال الى موضوع اللغة الفرنسية في الشعر النسائي اللبناني .

شعر المعاصرات في الاقطار العربية ينتمي في كثرته المطلقة الى الشعر الحديث المنعتق من نظام الشطرين ـــ قسم كبير منه يندرج في باب الموشحات الحديثة المتطورة . التي اشتهر بها المهجريون وتكثر في شعر فدوى طوقان وشعر ملك عبد العزيز (مصر) ونازك الملائكة في بواكير شعرها . بعضه من صنف الشعر الحر المبني على التفعيلة مكان البيت ، الذي شقت طريقه نازك الملائكة ونظمت به قسما غير قليل من شعرها في مرحلته الثانية . والباقي ينتسب الى النثر الشعري او الشعر المنثور المتفاوت قوة وضعفا ووضوحا وغموضا .

يمتاز هـذا الشعر اجمالا بتنوع اغراضه وتعدد موضوعاته ، بخلاف شعر النساء العربيات القدامى اللواتي اقتصر شعرهن على الرثاء والشكوى والغزل . فشعر نساء اليوم ارحب افقا رغم محدودية الاعمال التي يمارسنها وضيق المجال الذي يتحركن فيه .

في حديثي عن الشعر النسائي المعاصر اود التنبيه الى نقطتين : اولا : ان الشعر يتالف عادة من لمحات موجزة تتركز كل منها على فكرة ميتافيزيقية او صورة عاطفية ولا تتسع للتحليل الذي تتسع له القصة او الزواية . في الشعر تركيز على القالب الذي تعرض به الفكرة ، على روعة اللفظ والايقاع ، وطرافة الصورة وغرابتها ، في حين ان القصة مع تركيزها على فكرة او فكر انسانية تعنى بالحبكة التي تربط بين الحوادث وتوغل في تجليل نفسيات الابطال . فهي اغنى مادة واكثر تعقدا من الشعر .

النقطة الثانية : ان عرض دراسة تجاوز الاربع مئة صفحة في بضع صفحات يبدو امرا مستحيلا . لذلك سيكون التركيز في هذا العرض على ابرز مضامين الشعر النسائي المعاصر مع لفتة تتناول بشيء من التفصيل موضوعا عالجته اكثرهن معالجة محدودة او مستفيضة . هو موضوع الحب والغزل الذي مـا زال يستهوي الشعراء رجالا كانوا ام نساء ، لان الذوق العام يستسيغ موضوع الحب وان جاء مبتذلا او كان اقرب الى الوهم والتعليل منه الى الواقع والحقيقة . ولكن اليست الحياة كلها تعلات وامنيات لا تنتهي حتى بنهاية العمر ؟

في مجموعة تضم شعر النساء الانكليزيات بين القرن الخامس عشر والقرن الحالي ، يبدو ان شاعرات القرون الاولى عالجن في شعرهن هموما شخصية واحيانا النقد الاجتماعي الذي ذاع في الادب الانكليزي في القرن السابع عشر . وان واحدة منهن شكت ظلم الرجل للمرأة وطالبت بانصافها مستشهدة بآيات من الكتاب المقدس .

اما في القرن التاسع عشر فقد ذاع عند النساء كما عند الرجال موضوع الدعوة الى الاصلاح والعمل الانساني . نظير منع تشغيل الاولاد ، تحسين احوال العمال والعاملات ، الغاء العبودية . كذلك الحب الرومنطيقي استأثر بموضوعات القصص والشعر ، ونبغت فيه اليزابت براوننغ حين نشرت « قصائد من البرتغالية » . وفي عصرنا تستمر عندهن الدعوة الى تحرير المرأة ، الى العمل الاجتماعي ، والسعي لاجل السلم ، وتحرير الزنوج .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكثر شعر الاعترافات والتحرر الجنسي . ويلقى الاسلوب الشعري الحديث شعبية شاملة .

ولو عمدنا الى المقارنة بين هؤلاء الشاعرات وشاعراتنا المعاصرات ، لظهر لنا ان التحسس الاجتماعي سيطر في مطلع هذا القرن على الشاعرات والكاتبات كما على الشعراء والكتاب . فنساء تلك الحقبة طالبن بتحرير المرأة ، تحرير الوطن ، تطوير التربية ، كفاح الجهل والبؤس . حملن راية النضال الاجتماعي وغلبت عندهن الرغبة في اسعاد الآخرين ، على الرغبة في اسعاد ذواتهن .

اما المعاصرات فتتغلب على ادبهن الصبغة الذاتية والرغبة في التحرر بجميع وجوهه . التحرر الفكري والعاطفي واللغوي والعروضي . الثورة على الواقع وعلى التقليد . النقمة على التربية النسائية التقليدية وعلى عادة التمييز بين الجنسين . الرغبة في الهرب من الواقع الى عالم خيالي ، عالم الاحلام الذي ينشدن فيه تعويضا وعزاء .

لا يخلو هذا الشعر من قصائد في وصف الطبيعة واثرها في النفس على طريقة الرومنطيقيين ، مثلا شعر ملك عبد العزيز ، ومن قصائد وطنية ، قومية ، اجتماعية ، انسانية عند نازك الملائكة ، فدوى طوقان ، ثريا ملحس ، روحية القليني ، كلثوم عرابي ، سلمى الجيوسي وسواهن . لكن الطابع الذاتي غالب على الاكثرية .

ولا يخلو كذلك من ومضات فلسفية عند نازك الملائكة ، وبالاخص عند اندريه شديد التي تؤلف اشعارها وقصصها ومسرحياتها وحدة فكرية او فلسفية منسجمة . ولعلها الوحيدة بينهن التي يتخذ انتاجها من شعر ونثر طابعا انسانيا لا نلمح فيه اثر المرأة ومشاكلها الذاتية .

سبق القول ان شاعرات العرب في القليل الذي وصلنا من شعرهن ، عالجن موضوعين رئيسيين : الرثاء والغزل . وكان غزلهن على الغالب تقليديا يردد معاني مألوفة في الغزل العربي . وصف لواعج الحب والتحرق للقاء الحبيب والتغني بمحاسنه . وكان في تعضه دلائل صراحة وتحرر خلقي ، كما نرى في هذين البيتين المنسوبين الى ولادة بنت المستكفي الاندلسية ، ولعلهما موضوعان :

انا والله اصلح للمعالي ... وامشي مشيتي واتيه تيها
امكن عاشقي من صحن خدي ... واضح قبلتي من يشتهيها

ان الغزل النسائي المعاصر يحتفظ ببعض تأثيرات الغزل التقليدي الذي شاع في القرن الماضي وقبله . ونجد له امثلة في ديوان عائشة التيمورية ، شاعرة القرن التاسع عشر ، الذي يضم عددا كبيرا من القصائد الغزلية مما قالته الشاعرة « غير متغزلة بانسان ولكن لتمرين اللسان ! » .

في كثير من دواوين الشاعرات المعاصرات قصائد من صنف الاحلام الحبية واللقاءات الوهمية والذكريات والاشواق والمناجيات الموجهة الى حبيب يرجح انه من نسج الخيال . نظمتها صاحباتها في سن المراهقة التي يتفتح فيها القلب للحب ويتلذذ بنظم معاني الشوق والعتاب والتعبد والوفاء ووصف آلام الهجر والصدود وجمال الانفة والشموخ ورفض الخضوع الذليل وايثار الكبرياء على التبذل . معان غزلية مألوفة تضعها الشاعرة في قالب عصري على نحو ما نراه في غزل الشعراء المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

من هذا النوع اشعار نازك الملائكة في ديوانها الاول : « عاشقة الليل » . ففي هذه المجموعة تجديد عروضي وصور لا تخلو من جدة لكن شعر الحب يكرر معاني واحدة : ندب الماضي الذي ضاع ، النقمة على حبيب غادر واليأس من بعث الحب الذي انطفأ .

من هذا النوع التقليدي غزل عاتكة الخزرجي في « لآلاء القمر » وروحية القليني في « لك انت » وسلافة العامري في ديوانها الاول « شراع بلا مرسى » ، في حين يتطور شعر سلافة في مجموعتها الثانية .

اما فدوى طوقان التي تقف على الحب قسما كبيرا من شعرها ، فتحرص على تنويع صوره وتبديل ملامحه بحيث تترجح قصائدها الحبية بين الخيال والواقع ، بين الاحلام والذكريات ، بين التصوف بالطبيعة والتصوف بالله . ان فدوى شاعرة الحب بلا منازع . تتعبد له تعبد الرومنطيقيين . تتصاعد نفحاته من صدرها كالعطر من الزهر وتستوحيه أروع قصائدها . في « وحدي مع الايام » احلام حب صوفي توحدها بالطبيعة والكون . في « وجدتها » انطلاقة فرح ونشوة على دروب الحب والحرية . فرح التي نفضت عنها قيود الكآبة والخوف وخاضت تجربة الانبعاث او الولادة الجديدة . في « أعطنا حبا » صرخة امل وابتهال ، تودعها ما في قلبها من ايمان بقوة الحب وكونيته ورجاء بأن يغمر قلوب البشر وتجد فيه البشرية شفاء من ادوائها :

أعطنا حبا فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر
واغانينا ستخضر على الحب وتزهر
وستنهل عطاء وثراء وخصوبة
أعطنا حبا فنبني العالم المنهار فينا
من جديد ، ونعيد
فرحة الخصب لدنيانا الجديبه

في « بوح » و « شوق » ، مجموعتا نثر شعري لادفيك شيبوب ، تبعث الشاعرة ذكريات حب راحل . فيها حنين وانسجام في الصورة كما في الالفاظ . تعبر بهدوء وسلاسة عن خوالج نفس تلتقط صور الحب من منابعه العديدة وتتجاوب معها . الحب المتبرعم في نفوس الاطفال . حب العصفور لأليفه . حب الصنوبرة لجارتها ، والفنان

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com

نفنه . حب الام للولد والنحل للزهرة . انها الطبيعة السمحة التي تدربت على وعي الجمال واختزان رعشاته في القلب نضرة لا يعتريها ذبول .

شعر مي مر في الحب (في الفرنسية) أغرودة فرح نتطلق كزغاريد الاعراس . يتمازج فيهـا الواقع بالخيال واحاسيس الجسد بسبحات الروح . تعيد الى الذهن انغام « نشيد الاناشيد » في نضارة صورة الرعوية ودفقاتـه العاطفيـة .

تلك اشارات موجزة الى ذوات الموقف الايجابي من الحب . اما ذوات الموقف السلبي فهن اللواتي ينظرن اليه نظرة تشاؤم وسخرية . او يقفن موقف رفض من الحب المزيف الذي ينخدع بـه اكثر الناس او يرفعـن اصوات الاحتجاج والنقمة على تقييد الحب وتحطيمه .

من هذه الفئة قصائد فينوس خوري (بالفرنسية) التي تجعل الحب مصدر يأس وانتحار وتزعم ان الطحالب البحرية الخضراء انما هي شعور منتحرات لأجل الحب . في قصيدة « رماد » تريد دفن الماضي في هوة العدم اذ تحس لبقايا القبلات في فمها طعم الرماد . « الماضي الضائع » هو الحب الميت الـذي يمثل اصحابه دور السعداء سترا للمظاهر . « النسيان » حكاية لؤلؤة كانت في الاصل عاشقا يائسا لجأ الى البحر لينسى وجها حبيبا . « الرجال الذين مروا في حياتي » استعراض ساخر لعشاقها القدماء الذين كرروا امامها كلمات واحدة ، مثلوا تمثيلية واحدة ورقصوا رقصة واحدة ، فهم جميعا شخوص بلا شخصية :

رحماكم ! اوقفوا هذه الرقصة .
لقد سئمت البحث عن عيون الواحد
في محاجر الآخر .
عن عبوس الواحد في تبسم الآخر ...
لا . لا توقفوا الرقصة !
انكم تثيرون شفقتي ، ضحكي ،
حول هذا الجمر المنطفىء .
واذا عادت ناري الى الاشتعال
وتراقصت السنتها
فذلك لانها تتهته ضاحكة !

منهن ايضا سامية توتنجي في ديوانهـا الفرنسي : « حضور متعدد » ، حيث تهاجم الاضاليل التي زرعوها في راسها عن الحب والرجولة والانوثة والواجبات الزوجية فتقـول :

اريد الذهاب الى البحر ، الى الساقية ،
الى القديس سرنان
اخلع ما لدي من امتعة الامس
اطرح سيوري الجلدية
أعطيها للمبشرين .
ولكن ... اذهبي
ايتها المرأة الخفرة الحميية
المدفونة وراء اهدابي
اذهبي يا ربيبة الداخلية
اريد ان اكسر صندوقي السلحفاني
الحلى والمصاغ نوع من الموت ...

ومثلها هدى اديب التي تثور في مجموعتها الفرنسية ثورة عارمة على التقاليد التي تكبل البشر فتقول في وصف أغلال الحب :

في ملعب الاسف حبستهم
تفقد كرة الحب . تضيع
اصبحت انا الكرة
الملعب مقفل
لا احد يخرج
الافكار شبكة معلقة
يرمى فيها الانتظار
كعداء يركض
من غير ان يطلق كرته .
وفي نفس المعنى :
امرأة ورجل ربطا من مفصليهما
يؤرجحونهما كجرسين
ينزفـان
اجساد تبرم على دولاب التعذيب
يحرقون المرضى لكيلا ينتشر
مرض الحب ...

بين المتغنيات بحب الرجل والناقمات الشاكيات من الحب المقتول او المزيف ، تقف هدى نعماني نسيج وحدها . تتغنى بحب الله وتجد سعادتها في سبحات الروح . شعرها سجود وصلاة . معاناة وغناء . شوق العودة الى الاصل ، الى الروح ، الى الله :

نفسي على سراج الحب
تسعى اليك ...
في قلبي من محبتك
نيل وفرات
تملأ محيطا
تملأ محيطات.
لنا على مواويلنا شجرة الزقوم
على جروحنا ترقص العفاريت
وفي بيوتنا يجثم الخوف .
ربيعنا انت
دفؤنا انت .

وعلى مثال الصوفيين ، يحلو لها العذاب لاجل الله :
لنتعذب ، لنحترق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامنا تجلو الارض . تطفىء النار .
تاكل الكبرياء
لولا رياح ظالمة . لما انزلت آية
لما ارتجف ضمير
لما ثار سقراط
لظل رب الكهف في كهفه .

ان هدى نعماني تجد في اللجوء الى الله أمنا وطمانينة . وشاعرات اخر يجدن السعادة في الهرب الى عوالم اخرى . مي ريحاني تجدها في رحلة الى عالم البراءة والحرية . عالم الطفولة الذي يحتفظ سكانه بمزايا الاطفال . لا يكبرون . الشمس عندهم لا تغرب . الوقت لا يمر . الناس لا يمرضون . النار لا تحرق . الرياح لا تقتلع الاشجار ، والامواج لا تغرق البواخر . (مجموعة « اسمي سواي ») .

اما نهاد سلامه ، التي تدل مجموعتاها الفرنسيتان على موهبة شعرية اصيلة ، فترى السعادة في نسيان الذات ، نسيان الماضي والغرق في حب الآخرين ، والغوص في دنيا العطاء ، على مثال مارتن لوثر كنغ وامثاله من المتصوفين بحب البشرية .

ومنى السعودي (اردنية) في رسومها واشعارها التجريدية ، تحلم بعالم جديد ، بهي ، مناقض لعالم الصمت والعقم .

تبقى شاعرات القلق والضياع والالم . نظير سنية صالح وثريا ملحس . وشاعرات الرؤى الفلسفية : نازك الملائكة التي تعالج في احد دواوينها الاولى موضوع السعادة الهاربة . وفي الدواوين التالية يجتذبها موضوع الصراع مع الزمن ، هذا الموضوع الذي استهوى قبلها توفيق الحكيم في « اهل الكهف » ، فتتناوله في نحو ثلاثين قصيدة مختلفة الاسلوب ، موحدة الغرض ، تتعلل فيها باحياء الماضي وبعث الحب الذي مات . لكنها تمنى بالاخفاق لان الزمن الجبار يقف في وجهها ويخنق محاولتها .

ومن قصائدها الموفقة في هذا الموضوع : « لعنة الزمن » و « يحكى ان حفارين » . الا ان نازك في خاتمة تأملاتها الفلسفية تنتهي الى اصطلاح الاضداد وانسجام المتناقضات في نفسها . يصطلح الماضي مع الحاضر والخيال مع الواقع في وحدة صوفية . فترى السعادة في الالم . وترى الموت والفراغ في قتل الحب . ويبدو لها الخيال اروع من الحقيقة ، و « الزائر الذي لم يجىء » اروع من الذي جاء . والامنية التي لم تتحقق اجمل من التي تحققت ، فتحن الى الامنية المستحيلة والى المكان الذي :

نظل اليه نسير
ولا نستطيع الوصول ... (« طريق العودة ») ؛

اما اندريه شديد فاشعارها المنشورة في اثنتي عشرة مجموعة وكتبها القصصية والمسرحية التي تبلغ العشرة ، تزدحم بالنظريات الفلسفية التي يحتاج درسها الى كتاب ضخم . تتناول فيها الحرية والقدر ، الانسان والمجتمع ، الطموح والتحدي ، الحياة والموت ، ملاحقة المجهول وكشف جوهر الذات .

ولو اردنا اختصار هذه الفلسفة بكلمات قليلة لقلنا انها تدعو الى الطموح الذي لا يعرف حدودا ، والسعي الذي لا نهاية له . والتفاؤل الذي لا يمازجه تشاؤم . التفاؤل بالارض ، بالحب ، بالواقع ، بالحلم ، بالانسان ، بالشعر ، بالكلمة ، بكل ما في عالمنا من قوى جبارة يمكن استخدامها لاقرار الخير والسعادة ومجابهة الموت بصدر رحب وابتسامة هادئة . انها فلسفة غوته الذي يقول في احد مؤلفاته انه لا يريد السماء اذا لم يجد فيها مشكلة يسعى لحلها او غرضا يكافح لاجله . او هي فلسفة اوروبا الحديثة التي جمعت بين حضارات مختلفة ووفقت بين الفكر اليوناني وفلسفات شرقية غربية .

تحت عنوان « اصغ الى حياتك » ، تدعو القارىء في قصيدة نثرية ، الى الاصغاء العميق الذي يكشف لصاحبه اسرار المجهول :

هجيء الوردة العاصية .
ارسم هذا المدار الذي يصل بيننا .
انعش شاطىء الوعود .
طوع الكلمة المتجبرة ،
كرس الصوت المشترك .
اصغ الى حياتك .
انها فم لا حدود له !
اصغ اليها !

تلك لمحات خاطفة من هذا الشعر المعاصر . أردت بها الدلالة على مقدار التنوع في الاغراض والموضوعات ، ضمن الاطار المحدود الذي يطوق حياة المرأة المعاصرة . وربما كان التنويع والتجديد اكثر وضوحا عند الشاعرات باللغة الفرنسية ، اللواتي يبرز عندهن كذلك الافتتان في الاسلوب وتغوص بعضهن في مجاهل السوريالية فيوفقن حينا ويخفقن حينا آخر .

ان كثرتهن في لبنان تثير التساؤل : لم هذه الكثرة ؟ ونجيب ان احد الاسباب هو ان بعضهن تثقفن خارج لبنان وخصوصا في مصر ، يوم كانت مصر مركزا هاما من مراكز الثقافة الاجنبية . ثم انتقلن الى لبنان فانضممن الى حلقة زميلاتهن اللبنانيات ، على غرار فنانات من الاقطار العربية قصدن لبنان قبل الحرب الاخيرة للاستفادة من الحرية الفكرية والانفتاح الثقافي الذي وفره هذا القطر لادبائه وفنانيه .

وسبب آخر هو نجاح المعاهد الاجنبية في لبنان في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الفجر

وسط روض في سمـا لبنان قرب الرابيه
قمـت صبحا وفؤادي في الكروم الزاهيه
سرت والنفـح طهـور في رياض ناميـه
ونسيـم الصبح رهـو مائـج في الناحيه
يبعـث اليقظة فجـرا في العيون الغافيه

في ظلال الدوح بين العشب قرب الساقيه
لمحت عيني خيالا قلت مـن ذي الجاثيه
واذا صـوت تهـادى نغمـا كالعافيـه
انـا بنت الفجر بنت الروض بنت الفانيه
سئمت نفسي الحياة الدجل عهـر الزانيه
جئت كـي المح ربي في السماء الصافيه
ارفـع الفكر صـلاة في الحقول الهاديه
واخلي صخب الانسان في اطماعه المتعاميه
ايهـا النافـح بوقـا في الحيـاة الغاليه
لا تظـن الدهـر وقفـا باسما كالغانيه
سوف تمضي سوف تفنـى كهشيم الرابيه
انمـا الخلـد لاعمـال الصلاح الباقيـه

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليم لغاتها . لا سيما اللغة الفرنسية ، التي استطاعت ان تغري خمس مئة من اللبنانيين واللبنانيات بالكتابة فيها . كما جاء في مقدمة موريس صقر لمجموعة « مختارات الادباء اللبنانيين باللغة الفرنسية » ، الصادرة سنـة ١٩٤٨ . « ان اللغة الفرنسية تفعل في نفسي فعل الافيون » . هذا ما سمعت شاعرا لبنانيا باللغتين يصرح به في جلسة شعرية . ولا ريب ان من عوامل انتشار اللغة الفرنسية في العالم هذا السحر الذي تمتاز به ثم تفاني ابنائها في تجويد طرق تعليمهـا .

الى هذا نضيف سببا آخر وجيها . هـو ان الذين يكتبون بالفرنسية او سواها من لغات الغرب يقرا انتاجهم الملايين ، بينما قـراء العربية لا يجاوزون بضعة آلاف . والذين يكتبون بالفرنسية او الانكليزية يحتكون بزمـلاء يجيدون النقد ويثيرون فيهـم رغبة في التطور والارتقاء . ويواجهون مجتمعا اكثر انعتاقا مـن التقليد وأقل تزمتا وضيقـا .

ان عددا غير قليل مـن شاعرات لبنان آثرن الوفاء للغة البلاد . اما اللواتي اخترن الفرنسية او سواها فلم يفعلن ذلك كرها للعربية وانما خضعن للمغريات التـي وضعتها امامهن اللغة الاخرى .

روز غريب

الله في اشعار حلوة

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

(١)

جميل بطرس حلوة (١٨٨٣ — ١٩٤٦) شاعر ممتاز مغمور من شعراء المهجر الشمالي . عاش بجسده مندمجا في عالم مادي قاس ، وبفكره وروحه متوحدا في صوامع النساك . قال — وهي ابيات من قصائد نظمها في مناسبات متفرقة :

لـولا التحذر مـن عجز أتم بـه
جعلت عيشي مع النساك والقسس
تناسى الخلائـق ذكـر الـردى
ولله مـا عـاد مـن يذكـر
ذروني ونفسـي في خلـوة
اناجـي الالـه واستغفـر

افضـل الجلمودا — على بنـي حواء
فعشت عنهم بعيدا — مستانسا بانزوائي

فشكـت لله نفسـي — وابى الجسم احتمالي
فدعيني ، يا سليمى ، — مستريحا في انعزالـي
ساكبا روحي بشعـر — فـاض بالسحر الحلال
بكنوز الروح ، لا الما — دة ، في الدنيا انشغالي
ضاق ذرعي ، يا سليمى ، — مـا لعذالي وما لـي
انني روح واهـوى — روع هاتيـك المجالي
انمـا نفسـي لا تحـ — فـل الا بمآلـي
مرت في الارض ولكن — سكنـت روح الاعالي

مـا اتيت الحمى ، وربك ، طوعا
فغرامـي بالـروح لا الجثمـان
ومـا ارتهن الدهر بالمال روحي
فليست لغيـر الالـه رهينـة
ويؤنسني في غربتي قول من مضى :
« الا كل شيء ما خلا الله باطل »

ولعله ليس من السهل التحديد بوضوح عوامل هذه النزعة الروحية الواضحة عند جميلنا هذا ، وسبب انفراده بها بشكل لا نجده عند زملائه المهجريين الآخرين ، المعروفين والمجهولـين .

اكان مرجعها الشعور النظري ، او خبرات شخصية ، او اعمال فكر ؟ هذا ما لا اقدر على الاجابة عليه برغم كمول — او قرب كمول — نتاجه الادبي الذي بين يدي . لقد ظل جميل يذكر الله ذكرا كثيرا في اشعاره ، في كل مراحل عمره . لنصغ اليه يناجي ربه — وكان شابا بلغ الثالثة والعشرين :

محـط اعتقادي — عليـك اعتمادي
فروحـي وعقلي — وجسمي وزادي
اتوا مـن علاكا

اطلـت الرويـه — بحكـم البريـه
ففي كـل سـر — أمـور جليـه
تريـنـي علاكـا

عجيـب ورودي — لهـذا الوجـود
فعيشي وموتـي — وامـر الخلـود
يريـنـي علاكـا

فاصلي كريـه(١) — و بالجاذبيـة
نمت واستقامت — فيـا لقضيـه
تريـنـي علاكـا

وقضيـت حينـا — اغـذى جنينـا
باحشـاء امـي — الست ترينا
بـذاك علاكـا

وخلفـت ديـري — لنشـاة غـيري
ومثلـت عيشـي — ففي كـل دوري
بدا لـي علاكا

فطفـلا لعوبـا — ومـرءا دؤوبـا
وكهـلا وشيخـا — يـدب دبيبـا
بدا لـي علاكا

فكم مـن هموم — وخطب جسيـم
عراني ، ولكـن — أبيـدت غيومـي
بشمـس علاكـا

فخـذ في يميني — مـدار السنـين
وعنـد ركوبـي — جـواد المنـون
فقصدي علاكـا

وفي الخامسة والعشرين ينتابـه الشك : فيتزعزع ايمانه ، لكنه يستدرك الامر بسرعة ، ويستغفر الله :

يا رب ، عفوك ، ما كفرت تعمدا
رحماك ، فاغفر ، مـا بفي ترددا
فمقال كفري ليس عن قلت صدى
لكـن مـذ حلت بنـا نوب الردى
ضـاق النهى ، وتشتت افكـاري

وفي السادسة والعشرين يفقد فجأة زميلا حميما : فيتحسر عليه ، ويستسلم لامر الله هاتفا :

رباه : فليك ما تشاء — فـلا مـرد ولا نجاة

وفي السن نفسها . نسمعه يكبر في « الزوبعة والنفس » : ثم يسبح بلسان ما في السماء وما في الارض :

الله اكبر ! هذا الكون ممتنع
ادراكه عن نهانا — اي ممتنع
عوالم سابحات في دوائرها
ان يطلب العقل عنها الفحص ينخدع
وأبحر هاتفات من مغاورها :
سبحانك الله من رب ومبتدع
وانهر وبراكين واودية
تشدو الحياة عليها آية البدع

وفي الثامنة والعشرين نسمعه يتضرع الى الله اثناء تلاوته « صلاة الصبح » :

ضل رشدي في مذهبي ، يا الهي :
فاهد نفسي الى السراط الصحيح

وفي السن ذاتها — بعد وفاة امه ، على ما يظهر — تضيق به الدنيا ، ويتملكه انهيار ويأس شديدان ، فيصرخ مستجيرا طالبا الخلاص :

خالقي ! والدهر لم يبق امرا
في الورى الا ونادى : خالقي
ان هذا العمر لا يصلح الحر
كن ، يا رب ، منه عاتقي

فاذا ما بلغ الخامسة والثلاثين سمعناه يناجي الله هكذا :

برايا للبصائر رائعات
فأعجب بالذي صنعت يداكا
يتيه بريشه الطاووس عجبا
وهاتيك الضلالة من هداكا
ويبتهج الحشيش بما تردى
وتهتز الازاهر من نداكا
أيقنط في المعيشة آدمي
ودب النمل يأمل من جداكا

لقد ناجتك نفسي فوق تل
وعند النهر قد ناجتك نفسي
وقد حاكيت أرواح البرايا
وسطرت النتيجة فوق طرسي
فكنهك فوق فكري ليس الا
واحني ، يا اله ، لديك راسي
سألت الشمس ، لم تعلم لماذا
نصبح فوق كرتنا ونمسي

فلا عقل يعيك ، ولا فؤاد
ولا طرس يفيك . ولا كتاب

لقد كسرت أقلامي عياء
وحطمت الدواة فلا ملاب
وأين فصاحتي . وبلوغ علمي ؟
وأين بلاغتي ، وانا تراب ؟
فجودك في الوجود كفى ووفى
وحكمتك العلية لا تعاب

وقصيدة جميل هذه تتشابه ، بلا شك ، في شكلها وموضوعها ، بقصيدة « الله » لمسعود سماحة (١٨٨٢ — ١٩٤٥) ، زميل جميل في مهجره ، والتي منها :

الملك ملكك ، والبهاء بهاكا
والارض ارضك ، والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك
او ساكن قد كونته يداكا
نظمت أمكنة النجوم ونيرها
والارض والقمرين والافلاكا
لا مسعف الاك . لا متساهل
الاك . لا متسلط الاكا

تهوي العروش وعرش مجدك ثابت
وسوى ملكك كل ملك فان
سلطان مجدك أنت فيه أول
لا رأي فيما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن في الورى
والنور بعض بهاك والقمران
لا العقل يدرك كنه سرك ، لا ولا
تلقى جمالك مقلتا انسان

والملحدون — وكلهم متجاهل
او جاهل لا يقبل البرهانا —
قالوا : الزمان هو الرقي . وقولهم
يوهي الجحود ويدعم الايمانا
من أوجد الاسماك في ابحارها ؟
من كون الاجسام والانسانا ؟
من قيد الابحار في قيعانها ؟
من نظم الافلاك والاكوانا ؟

لك رحمة فيها اليراع مقصر
وبيان ارباب الفصاحة اعجم
لو رمت عدلا في الخليقة ما بقي
في الارض مخلوق به يجري الدم
. . . .
حاشا لرحمتك العجيبة ان ترى
نفسا ، وأنت صنعتها ، تتألم

ويتبع جميل مناجاته السابقة بمناجاة اخرى ابلغ . يحس فيها الله . لننصت له وهو يخاطب المولى — عز وجل — بهذه الكلمات السهلة ، في عبارات بسيطة :

انت في الشمس نورها اللألاء
انت في الليل بدره الوضاء
ولزهر النجوم انت السماء
ولزهر الرياض منك الشذاء
ولمر النسيم انت الفضاء
ولموج البحار أنت الماء
ولأنت الظهور ، انت الخفاء
ولأنت المنى ، انت الرجاء

انت ديني ومنتهى ايماني
انت مهد الحياة في وجداني
انت عقلي ومنطقي وبياني
انت سمعي العزيز في آذاني
انت عزمي ، وأنت حزمي وشاني
انت شغلي ومركزي وزماني
أنت روحي ورأح جسمي الفاني
انت لولاك لم اكن انساني

كيفما ملت اجتليك اسام
في شرودي ويقظتي ومنامي
أنت وعدي وعهدتي وذمامي
وقعودي وضجعتي وقيامي
انت ترسي وساعدي وحسامي
انت عوني على العدى في الصدام
لك حبي أخلصته وغرامي
في حياتي وبعد لقا حمامي

كيف أزري بالقبر أو أخشاه ؟
هل ترى بعد ظلمة تغشاه ؟
بعد ان قد رفعت عنه غشاه
خرقت الظلام في أحشاه
انما الخلد في الردى منشاه
وفؤادي هناك يبغي رشاه

وفي التاسعة والاربعين ، يتأمل في « التمدن » الذي حوله ، فاذا :

الناس ، واعجبا ، قد ازدحوا على طلب الهباء
يتصارعون كأنهم عدموا الفطانة والذكاء

ويتساءل :

أين الديانة ؟ أين فلسفة الهداة الانبياء
لا المال محمي ، ولا الاطفال او عرض النساء

وينتهي من هول ما يراه الى ان يرفع صوته مستغيثا :

الله ، لطفك ، ايها الرحمان ، يا رب السماء
اوليست الارواح من نفحات صدرك في العلاء
مر تستقم هذي الضمائر ، طال فيها الالتواء

(٢)

كانت المناجاة سبيلا من ثلاثة سبل سلكها جميل عند ذكر الله في اشعاره . اما السبيلان الآخران فكانا تذكير النفس ووعظ الغير .

كم من مرة ، في خلواته الروحية ، اخذ جميل يذكر نفسه بالله ، ساكبا هذه الذكرى في ابيات جميلة حلوة تملأ سامعها راحة ورضا . قال — وهو في الرابعة والعشرين بعدما فقد اخته « ماري » ، وكان فقدها من اهول خبراته :

اذا ما دهتني صروف الليالي
وادمت فؤادي بسهم النكال
فربي رحيم يرق لحالي
ومنها يقيني

فما امر فقري وما هجر صحبي
وما غدر دهري وما كل خطب
اذا مد ايدي المعونات ربي
لكيما يقيني

فيا عين ، كفي ويا يأس ، ول
ويا قلب ، صبرا لفقري وذلي
ويا روح ، صومي لربي وصلي
فحقا يقيني

ونسمعه بعد اربع سنوات يقول متشددا بـ « الامل والثبات » ، عقب فقد الام على ما اظن :

اغامر في دياجير الحياة لعل الله بالتوفيق ياتي
تصبر ، أيها القلب المعنى ، ولا تحفل بفعل النائبات
فعين الله ترقب كل حر وعند الله لي خير الصلات

ويقول في الفترة نفسها :

للاله القدير بين الخلائق
حكم تدهش اللبيب الحاذق
ركب الارض من عناصر شتى
ولكل عما سواه فارق
واقام الافلاك في واسع الجو
واعلى بنا الجبال الشواهق
ولقد جمع الخضم — الذي لا
حد يحصيه — من صغار الدقائق
حار عقلي لدى الوجود ، وقلبي
قد غدا من فخامة الكون خافق
ويح نفسي ، الست حرا طليقا ؟
كيف كالعبد قيدتني الطوارق ؟
يا « ابن حوا » ، لا ترفع الراس تيها
فنفوذ القضاء في الكل صادق
يا لهذا الوجود ، كم من عجيب

قــد حواه ، وكم به من خوارق
ما دماغي : ما فؤادي . وما صد
ري لا يقوى علــى افتهام الحقائق

والتفت الى نفسه يوما فرأى نفسه قد قطع ٢٨ سنة في تيه الحياة الملتهب ، ذي الريح العاتية ، فبدأ يحدو :

طال سيري في الصحاري وسط رمضاوات نــار
ليس لي غير اصطباري مــا بــه اطفي اواري
وعقيب الضبر راحــه

قــد عدت ريح السموم واعتلى رمــل التخــوم
في الفضا مثــل الغيوم انما ، يا نوق ، دومي
عل في الصحراء واحه

انما ، يا نوق ، سيري واستجــيري بالقديــر
مــن تباريــح الدهور انــه مولــى الامــور
جل ، ما اسمى صلاحه

وفي السن نفسها خاطب نفسه مرة ثانية وقال :

يــا قلب ، قــدك تلهفا لتروع
برد لظاك ، ان استطعت ، بأدمعي
عقــل ابن آدم قاصر عمــا يعي
عــدل الالــه بشاننا ، فليصنع
مــا شاء ، فهو يحيط بالاسرار

ويفقد « روزا » شقيقته ، فيقف لدى ضريحها ، وكله « عبرات وحسرات » ، ليقــول ــ وكــان في الخامسة والاربعين :

اقــام الاسى في فؤادي حمــاه
اذا راح خطــب فخطــب تــلاه
وقــد الــف الدهــر منــي آه
فيــا نفس ، قومي بفرض الصلاه
وايمانــك استجمعــي والرجــاء

(٣)

لنأت الآن الى ذكر الله في وعظ جميل . سنجد انه غالبا ما كان موصولا بذكر الروح وخلودها . قال ــ وكان في الخامسة والخمسين :

.قــدح الله شعلــة الــروح لمــا
حــك كفيــه في دجــى الظلماء
خالعــا في الوجود ثوبــا عليها
يدهش العقل ، مــن تراب وماء
أتراهــا كمــا اراد لهــا الله
تجلــت بروعــة وبهــــاء
ام عليهــا غشــاوة حجبتهــا
بالدنايا ، فلــم تــزل في خفــاء

وقال قبل ذلك بعشرين عاما . في رثاء اخته «مري» :

الا ، لا تقولــوا بعكس الخلود
فــان فــؤادي يــذوب ارتياعــا
ولست على الجسم اخشى ضياعا
ولكن على الروح اخشى الضياعا
وكــم مــن حبيب علــي عزيز
تولى ، ومــا نلت منــه وداعا
فهــل هــم الا بدار الاعالي ؟
وهل بسوى ذاك ابغي اقتناعا ؟
وهل هــم الا بظل ابــي النور
يخلــع منــه عليهــم شعاعا ؟

ونظم في رثائها ايضا :

ليس الانين معيدا مــن لقد بانا
هيهات ان ترجــع الدنيا احبانا
سبحان مــن هكذا شاءت ارادته
بين اللاخلق مذ البدء ، سبحانا
للصابريــن اعــد الله جنتــه ،
ما كان لولا خلود النفس اشقانا

وقال مخاطبا الاموات ليسمع الاحياء :

ايهــا الساكنــون ظــلام القبـ
ر ، وكنتــــم اقمــــارا
انمــا تلــك سنــة الله فينــا
والى الترب انمــا الترب صارا
غــير ان الارواح ــ وهي ضيا
ء الجسم ــ حلت من السعادة دارا

وقال مرة ، بعد ان مثل بحبة النبات التي ستصحو من عميق سباتها لتقيم اغصانا وارفة وارقة ، وبعد ان حاول التدليل على ان القبر ليس نهاية البداية وانما بداية اللانهايــة :

ايها الجاحدون ، مــن منبر القلب
علينــا يلقــي الضمــير خطابــا
فهــو مــن لمــن وعــاه وسلــوى
وهــو نــار لمــن طغــى وارتابــا
كيف نقضي ــ والروح من نفخة الله ــ
بــأن الارواح تمســي ترابــا
أين «هيغو» وأين «موسى» و «افلاطون»
هــل هــم يماثلــون الترابــا(٢)
لا تضلوا ، لا تجعلوا العيش بطلا ،
لا تزيــدوا علــى العذاب عذابــا
لا تقولوا : مــا الدين الا اختلاق
وعلينــا ان نحفــظ الآدابــا
مــن نفى قــوة المهيمن لا يرجــو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثوابا ، ولا يهاب عقابا
ليس سر الخلود راي عقيم
ان يكن باعتناقه الحس خابا
فاملئوا الصدر بهجة بالاماني
وانزعوا ما يسبب الاضطرابا
عللوني ــ بربكم ــ عللوني ،
واذكروا لي خلودنا والمآبا
واذا مت فاعلموا ان روحي
بالاعالي ، فلا تريد انتحابا
وخذوا حبة النبات مثالا
فتزيل الشكوك والارتيابا

والتقى بأحد الذين كثر علمهم بالماديات ، وقصر فهمهم عن الروحانيات ، فصوره وتصور مصيره قائلا :

حاد بالعلم عن سواء السبيل
وتباهي بالغي والتضليل
ولكم بالعلوم ضل فتي .
حين منها لم يلق غير القليل
ختم الصرف جيدا ، وبعلم .
النحو يروي ما جاء بـ « ابن عقيل »
ولديه خريطة ، فهو ينبيك
بأرض الهنود والمنغول(٣)
وهو بالكيمياء عن خبرة يشرح
سر التركيب والتحليل
وبعلم الافلاك لا شك يدري
مركز « الدب » او مقر « الفيل »
وبنظم التريض ينشد « ليلا
ه » ، ويبكي على الربى والطلول
كل هذا حوى ، اما ذاك بالكافي
لدحض التوراة والانجيل

غشي الجهل قلبه فاعذروه
فسيصحو من ضغط ذاك المقيل
ما على الطفل ، والحليب غذاه ،
من ملام لعسر هضم البقول
فاتركوه على الطبيعة ، فالدنيا
تريه ما كان بالمجهول
وبعيد الجحود والكفر يحنو
راسه العاتي بالرضى والقبول
سوف يدري الخلود حين تراه
بحبيب يصاب او بخليل
سيرى ضعف رأيه عندما في الا
عيش يحتك عقله بالعقول
سيرى الله من خلال الرزايا
ولديه يجثو كعبد ذليل

الا ان جميلا ، الذي كانت مصائر الناس شغله الشاغل ، لم يرض بترك هذا الشخص وشأنه ــ كما اشار علينا ان نفعل ــ بل نراه وقد رجع اليه ليذكره بالله ، مؤكدا خلود النفس ، ناصحا اياه بالتقوى ، داعيا له بالهداية :

ان ابهى ما في الوجود واشهى
ما به الله اصل كل جميل
وخلود النفوس اثمن ارث
قد نعمنا جيلا به بعد جيل
فاتق الله أيها الغر ، واذكر
، دوما بالحمد والتبجيل
ان شمس الحياة مهما اضاءت
فاخيرا تميل نحو الافول
هل بجرف التراب ترضى مقرا
ليس فيه غير الظلام الطويل
ليس حظ الكفار الا شتاء
وذهاب الرجاء والتأميل
فهداك الاله عن كل غي
وضلال ، الى سواء السبيل

والتقى برجل آخر « أضلته الليالي مثلما اضلت غيره » فبادره جميل بكلام ، منه :

عجبا ، قلبك مل . عجبا ، لا تتسلى
وجمال الكون ، يا صاح ، حواليك تجلى
هل على الضلال تأسى ان تلاشى واضمحلا
هذه الدنيا هي الجنة ، لو حكمت عقلا
ان روح الله في اكوانها بعضا وكلا

ووعظ جميل الغير كلهم : الاقربين والابعدين ، ووعظهم في الافراح والاتراح .

....

زفت شقيقة له ، فخاطبها وزوجها بـ :

الا فاربطا الروحين في سنة الهوى
وسيرا باخلاص في كل منجع
وفي منهج الحسنى اسلكا وتباريا
وبالله لوذا من رؤوف ومبدع

وتوفيت « ماري » اخته ، فالتفت الى امه معزيا :

اماه ، كفي دموع العين ، اماه
ما من مرد لما شاءه الله
يا أم ، ان هذه كانت ارادته
على الرؤوس ، فمن للقلب الاه ؟

واندلعت الحرب العالمية الاولى ، وانقلبت الى حرب ضروس ، حامية الوطيس ، ذهل لهولها . فلما خمدت اخذ يردد :

فظائع حرب عم دنياك شرها
ولم تتخايل قط في راس واهم
تلاشت تلاشي الريح الا اقله
فقل : ليس الا الله ربي بدائم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال — وكان شابا يومها :

في دجى الليل ضللنا ولقد حار الدليل
كلنا للموت نسعى ما الى الخلد سبيل
وبسمعي طارق صو ت خفي ، ويقول :
صاغك الله من التر ب ؛ وللترب تؤول

ورأى احدهم يستغنم ، فوقف يذكره بالآتي لعله يتفكر :

فاجمع من الاموال ما شئته ،
وارقد على الحرائر الفاخره
وكل من الالوان ما تشتهي ،
والبس كما تستحسن الباصره
لكنما اذكر ان مولى الورى
له عينان ابدا ناظره
فان بغي المرء يودي به
لا بد ان تنقلب الدائره

وكتب مرة : « اذكروا كم شيء اتيناه وليتنا ما اتيناه ، وحسن تضيناه وليتنا استزدناه ، وعثور عابنا على حين كان يجب الانتباه. اذكروا سوابغ النعم من الله فتشكرها» .

ومن وعظه الرائع ما قاله في « صبحة وعشية » :

عندما تترك البيت صباحا
ويحييك بالهبوب النسيم
وذكاء ترنو اليك ارتياحا
كرؤوم منها تدانى الفطيم
وترى الورد باسما فواحا
وكأن الندى عليه النجوم
ولك الطير يعتلي مصداحا
في رؤوس الاشجار حيث يقيم
فاذكر الله ربك الفتاحا
انه الخالق القدير الرحيم
واذكر الام والاب استنصاحا
ولو ان بات وهو عظم رميم
واكشف الراس هاتفا هذين :
يا رضى الله ! يا رضى الوالدين

لا تغسر جهد الحياة كفاحا
لا تقل بالنزاع يحيا العموم
ما برى الله خلقه سفاحا
بل طغاهم ابليس ذاك الرجيم
افسدوا في سبيله الارواحا
وعداهم يوم النشور العظيم
انما العقل لم يزل مفتاحا
ونعيم في فتحه او جحيم
فتحذر ، يا صاح ، من أن يزاحا
عن صراط هو الصراط القويم

ومن الحق فاتخذ مصباحا
للسرى ؛ ان دها الظلام البهيم
وتشجع مرددا هذين :
يا رضى الله ! يا رضى الوالدين

وله من « حديث مع الطيور » :

بالصفا فلتدم عيوني تراك ،
اطربي مسمعي ، طيور الاراك
واقرئي في صحف الكون الا
حانا ، وحاها اليك من انشاك
ليت اني في الروض قد كنت طيرا
اتغنى ، وانتحب منحاك
فتهنى بما الطبيعة اعطت
ك ، وتيهي بما الاله حباك

وله من حديث ثان :

من ذا الذي استهواك ، يا بلبل ،
ورد الربى ، أم ترى الجدول
تجود ممتازا بلحون الهوى
منذ اقتناها جدك الاول
وقعهـا الله بقيثـارة
وانت عنه وارثا تنقل
نبهتني — واسوء جهلي — على
ما كنت في علم الهوى اجهل
على جمال الكون أيقظتني
وراعني مبدعه الاجمل
والناس — يا لله — ما بينهم
قد ساد هول النار والمنصل
ما بالهم صال القنوط بهم !
ما بالهم من ذعرهم ولولوا !
فليس كالايمان من معقل
وكالرجاء الحلو لو نعقل
الله ، ان الله في عرشه
لا أرحم منه ، ولا اعدل
بعرفه فاحت زهور الربى
وصاح في تمجيده البلبل

(٤)

آمن جميل بالله ايمانا وطيدا ، وآمن ايضا بقضاء الله وقدره . يظهر هذا جليا في اشعاره حيث يقول :

صبرت ، وقد ضج اصطباري من النوى
ولا بد يقضي الله ما كان قاضيا
على انها الاقدار حلت ، وهكذا
لقد حكم المولى ، وهل من مدافع ؟

على انـه المولى بذلك قـد قضى
وهل مـن مرد للذي كان قاضيا ؟
فسبحان من قـد هكذا شاء للورى
ومـا شاء الاه على الارض باقيا
هكـذا الله قـد قضـى باغترابي
فليكـن مـا يشـاء رب العبـاد
لا خـير في الارض ، ان الارض فانية
والكـون لله في احكامـه دائبـا
لا تياسي ، واصبري ، فالنائبات بهـا
تـزداد لله اخلاصـا وايمانـا
وانـا لأمر الله — لا العبد — ننحني

على ان ايمان جميل بالقضاء والقدر لا يعني التواكل والتخاذل في الحياة الدنيا ، بل يعني السعي والمجاهدة فيها . اسمعه يقول — بعد ان قضى ربع قرن في « الهيجاء والرجاء » :

كلمـا الدهـر بالمضرة جـاء
حاربنـه ، ولا تبنت الرجـاء
كتـب الله هـاك أن نتلقـى
في الحيـاة السـراء والضـراء
انمـا العيش مثـل حرب عوان
فاسلل السيف ، واستزد مضاء
واستعن بالاله ، واجهد ، وجاهد
كلمـا الدهـر بالمضرة جـاء

(٥)

آمن جميل بالله لانه آمن بالدين . فـ « الدين الذي هبط على عواطف الشرقيين من الارفع ، هو اسمى مـا اتصلت اليه المقدرة البشرية ، وادعى شيء الـى ترقية النفوس وتعلية الرؤوس ... اعبدوا ربكـم كيف شئتم وما شئتم ، فما الدين الا واسطة التفاهم بـين الخالق والمخلوق ، وخير الدين ما كان عن ورع وفهم ، لا فزع ووهم ... هذه نصائح حر مخلص لأناس يعقلون » .

هذا ما كتبه جميل ، في « منشور اصلاحي وبحث فلسفي » طويل ، وله من العمر خمسة وعشرون عاما . اما في الخمسين من عمره ، فقد نظم « ترنيمة العيد » ، وفيها قال :

دقت الاجراس تدعو للصلاة المؤمنين
آمنوا ، يا ايها الخلق ، وما احلى اليقين
طالما تهنا غرورا في الدياجي ساكمين
ليس في المادة للروح عزاء او معين
فعزاء الروح دين ، وهي تشقى دون دين

جلس يوما ، والقطار به يجري ، وسرح فكره في سلوك البشر ، فرآهم :

قـد قسمـوا الله باديانهـم
عجبـا ، وكـل دينـه الطاهر
ودينهـم في المـال لا غـيره
فهـو الالـه الصمـد القاهـر
قـد طأطـأوا الارؤس قدامـه
ومـن عصـاه فهـو الكافـر
والصدق ، أواه علـى صحبـه
فهـل لـه مـا بينهم ذاكر ؟
كأن « يوضاسا »(٤) امـام الورى
وجمعهـم تابعـه النـاصـر
حضـارة تزهـو بانتاجهـا
والعقـل فيهـا السيد الآمر
والروح الا في قليـل الـورى
مكبـل منكمـش صاغـر
مـا قلت مـا قد قلت عن ظنة
سلني ، فانـي العارك الخابـر
ان شئت تدري ديـن اي امرىء
فـان وفى الدين فـذا الفاخر
وان اراد الهضم عـن خسـة
فاحـذر فـوحش فاتك غـادر

(٦)

حاولت في هذا المقال — على ما يسمح به المكان — ان ابين ظاهرة ذكر الله التي لاحظتها اثناء قراآتي لنتاج جميل بطرس حلوة الادبي . غير اني رايت انه لا يصح انهاء المقال بدون الاستشهاد ايضا باشعار ترجمها جميل عن الادبين الامريكي والبريطاني . ذلك لان هذه الترجمات ما هي ، في الحقيقة ، الا اصداء لافكاره هو ومشاعره هو التي اودعها شعره الشخصي غير المترجم . سأورد هنا اذن ما يهمنا من ترجمات جميل لموضوع هذا المقال ، وبدون تعليق ، مكتفيا بذكـر عناوين القصائد الاصلية وأسماء ناظميهـا .

زهرة في الجدار المشقوق(٥)

يـا زهـرة قلعتهـا مـن شق ذياك الجدار
وفي يـدي قلبتهـا معمقـا في الافتكـار
لـو كنت ادري كيف ذا ك الحسن في الزهرة صار
لكنت ادري مـن هو الا لـه العظيم الاقتـدار

الصدى(٦)

بربك ، اي صوت قـد تعالى
فصيحـا نستطيب لـه مقـالا
عميقـا صافيـا ، يجري وحيدا
يجاوبنا ، ولـم يسال سؤالا !؟
يـردد هاتفـا صوتـا بصوت

وحجب الذات أكسبه جلالا
صدى صوت الاله بكل نفس
فسمعا للصدى ، اما تعالى !

ليس لنا بل لها ، يا رب(٧)

ليس — يا رب — لنا ، ليس لنا
مأمن الليل ، ولا انس النهار
لا ، ولا الوحي السماوي الذي
يوقظ النفس بنور وبنار
او فؤاد الحزم أو صوت العلى
او مآتي الجد تولينا الفخار
كلها منك ، اذا شئت همت
واذا شئت تلاشت كالبخار

البساطة الخلابة(٨)

تحت اصطناعك من درى ماذا اختفى وتعطلا ؟
ما كل ذلك صالح ما كل ذلك قد حلا
اهوى المحاسن مثلما شاء الاله وشكلا

يا وطني(٩)

ايا وطني ، ما دامت فيك منازل
تعود وتحميها الرجال البواسل
وما دامت الانوار ليلا تضيئها
وما دام فيها الدين والحق ماثل
فلا خطر يخشى عليك كأمة
ولو ناب مكروه وحلت نوازل
مغانيك ، عين الله تحرس أهلها
وانك بسم الله للمجد نائل

مزمور الحياة(١٠)

لا تردد بتنوط : انما الدنيا منام
فخنوع الروح — لو تدري — هو الموت الزؤام
ضل من يزعم أن الـ قبر للعيش ختام
كتب الخلد على الروح ولو تبلى العظام

ليس شأن الله خلـ ق نعيم واغتنام
بل صلاح كل يوم بعد يوم باعتزام
وادفن الماضي بما فيه ولا تحفل بما سوف يقام
واعتمد ربك في الـ حاضر ، واجهد للمرام

وبعد ، هذا بعض ما جاء عن الله في شعر جميل ، وجميل ما كان شاعرا محترفا بل هاويا ، وما كان شاعرا مضلا بل هاديا ، و « لسان حاله » كان دائما :

صاح ، ما لي وسوايا ، انا بالشعر هوايا
انه للنفس نور ، انه نار نهايا
هذه الاكوان اعطاها لي الله عطايا
انما عدت بجود الروح اهديها هدايا

لقد سمع جميل ، في شبابه ، هاتفا يناديه :

وان كان اهداء النضار معسرا
اتعصى القوافي ، وهي كالسيل تقبل
عليك بنظم الدر ، وانثر عقوده
عسى نوره يهدي الضليل فيعدل

فلبى جميل النداء ، وداب على قول الشعر الحلو طول حياته ، ولا عجب ان قال :

فللشعراء منزلة ..... في الحشر
فمن أرواحهم ملأوا فسيح الكون بالبشر

واشنطن — جورج ديمتري سليم

---

(١) الرية (بكسر الراء وتشديد الياء المفتوحة) : حيوان هلامي .

(٢) هيغو : Victor Marie Hugo (١٨٠٢ — ١٨٨٥) ، اديب فرنسي .

افلاطون : Plato (٤٢٩ — ٣٤٧ ق.م.) ، فيلسوف يوناني .

(٣) المنغول : هم المغول سكان منغوليا بآسيا .

(٤) يوضاس : Judas هو يهوذا الاسخريوطي تلميذ المسيح . وهو الذي باع معلمه .

(5) «Flower in the crannied wall» by Alfred Tennyson (1809-1892).

(6) «The echo» by William Wordsworth (1770-1850).

(7) Anonymous.

(8) «Simplex munditiis» by Ben Jonson (1573-1637).

(9) «There are homes» by Mrs. Grace Noll Crowell (1877-1969).

(10) «A psalm of life» by Henry Wasdworth Longfellow (1807-1882).

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

الشعق المقدس

عند الشاعر جورج صيدح

بقلم عدنان الداعوق

* * *

« جورج صيدح » . واحد من كبار شعراء العرب في المهجر، وهو كما يقول عنه الشاعر الاستاذ « محمد عبد الغني حسن » : .

« وتر من ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى ارض الوطن ، فيهفو اليها في شعر جميل رقيق » .

ولد « صيدح » في دمشق عام ١٨٩٣ ، وتعلم فيها ، ثم اكمل تعليمه في مدرسة « عينطورا » بلبنان ، وكان الاخطل الصغير « بشارة الخوري » ينشر له شعره في جريدة « البرق » وهو طالب في العقد الثاني من العمر .

هاجر الى القارة الجديدة عام ١٩٢٧ ، فكان نصيب « فنزويلا » من صيدح عشرين عاما قضاها في التجارة والبيع والشراء ، كما كان نصيب « الارجنتين » منه خمسة اعوام ، كان آخرها عام ١٩٥٢ ، ومنذ ذلك الحين ظل يتنقل بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، حتى القى عصا التسيار بمدينة بيروت عام ١٩٥٤ .

عندئذ احس المغترب الحنون انه قد آن الاوان لكي يستقر على ارض الوطن بعد طول اغتراب ، فحمل معه كل حصيلة اغترابه من مال التجارة واودعها في بنك «انترا» ببيروت ، وما كادت تستقر امواله في صندوق البنك حتى اعلن البنك افلاسه ، فخسر المغترب نصف الثروة التي جمعها بعرق الجبين وقرر الهجرة الثانية ، فكانت باريس هذه المرة نصيبه ، مغتربا جديدا تقف على اعتابه الشيخوخة فارضة على العائد استئناف النزوح .

لم يصمت لسان الشاعر « جورج صيدح » طوال فترة هجرته عن ذكر الوطن والتغني بالعروبة والقومية ، وما كادت تصيب الوطن نائبة من النوائب حتى يرتفع صوته عاليا منددا بالنائبات ، مذكرا بالامجاد ، ولعل من اروع قصائده تلك التي قالها في احلك ساعات النكبة عام ١٩٤٨ ، فاذا هو من « بونس ايرس » يقول :

وطني ، مطلع انوار الهدى بلدي ، ما انت للذل بلد
او تغدو وتدا للمعتدي اين شان العرب من شان الوتد ؟
لا تطل عمري الى يوم به تحكم الجرذان في غاب الاسد

وكانما كان عام النكبة هذا ، النكبة الكبرى التي ارتفعت في قلب الشاعر ، فوق الخاص والعام عنده ، ولم يعد يرى الا سواها ، الآلام تعصر قلبه وتدمي عيونه ، حتى البسمة المشرقة لم تعد تعرف طريقها الى شفتيه :

الحسن يضحك في الربى وانا متجهم ، وسواي يبتسم
جزعي على الاوطان يصحبني هل في فلسطين انطوى العلم ؟

في كل نقطة دم يسري حب الشاعر للوطن في روح تتاجج حسا دفاقا وارقا متوهجا ، ونقدا يصل حدود المرارة ، لعل الهمم تستفيق ويتململ العنفوان من جديد :

لم يبق فيكم من عروبتكم الا لسان مفصح وفم
ان العروبة — يا بلابلها — روح على كف الفتى ودم !

وفكرة العروبة والقومية نمت نموا بارزا في ادب وشعر المهجر حتى اصبحت فوق وقبل كل شيء فكيف تمكن هؤلاء الادباء والشعراء — وصيدح في مقدمة هذه الكوكبة — ان يستوعبوا مصائب الامة والنكبات المتلاحقة التي حلت بأوطانهم ؟

لا شك ان الاغتراب والهجرة كان ولا يزال من العوامل الاولى التي اججت في نفوس المغتربين تجاوبهم مع مصائب الامة ، فحب الوطن لا فكاك منه على بعد اغتراب ، تزيده الايام عمقا ويشتد مع الاعوام صفاء وتولها يكاد يصل الى حدود التصوف .

ففي عام ١٩٦٧ ، عام الحزن العربي ونكسة حزيران، فقدنا في حمص احد اولئك العمالقة من الادباء المهجريين وهو « نظير زيتون » ، وكنا قد عزمنا على اقامة حفلة تابينية له ، فكتبت الى الشاعر « جورج صيدح » رسالة ارجوه فيها ان يشاركنا بحفلة التابين لعلمي ان بين الاثنين علاقة طويلة وعميقة من الصلات الروحية والقلمية ، فوردتني رسالته من « فيشي » بفرنسا بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٢ ، يقول فيها :

« لقد تبعتني رسالتك الكريمة الى مغتربي الصيفي ، فطال طريقها وتأخر وصولها ، اما مضمونها فقد طيب نفسي بعطر وفائكم لذكرى اخ احبه واجله ، واديب نابه عم فضله ، آجركم المولى على مسعاكم النبيل .

اما اشتراكي معكم فواجب علي ومحبب الي ، ولولا نكبة الامة التي قصمت ظهري وشلت فكري منذ الخامس من حزيران لسمعتم صوتي نائحا عليه قبل حفلة التابين ، اني اليوم لا اصلح للتفكير والتحرير او لقول الشعر ، ولن اعود بشرا سويا واعيا الا متى عادت فلسطين الى اهلها والكرامة الى العرب .

ورغم ذلك ، جلست الى مكتبي ساعة استوحي عواطفي الحزينة ، واجمع النثرات الخاطفة في وريقة ارسلها اليك طي كتابي ، طامعا فيك عن قصوري بشفاعة ظروفي . ان القليل الهزيل من الكلام خير من الصمت او الغياب عن هذا المقام » .

وكانت قصيدة « صيدح » الرائعة بعنوان « نحن

قلبان توأمان » جاء فيها :

عقدت حمص للفقيد الكبير ... مأتما قد عقدته في ضميري
ودعتني الى رثاء فتاها ... افارثي مصيره أم مصيري
نحن قلبان توأمان وقانا ... من جفاء النوى عناق الشعور
كنت احيا على رجاء لقاه ... صرت احيا على نداء الحفير
حبه كان واحة ظللتني ... وشفتني من الظما في الهجير
وارتني كيف اليراع يصلي ... ويجلي على بيان العصور
ثكلته أم اللغات فسالت ... ادمع الضاد من جفون العشير
كان خلف البحار سيف الجوالي ... من غدا في الديار ضيف القبور
لن أعزي به ولن اتعزى ... الم الخطب فوق صبر الصبور
يا نظيري في غربتي ومآبي ... ما امر الحياة دون « نظير »

قد يندهش القارىء العربي من بكاء « صيدح » على صديقه « نظير زيتون » حينما سمع نبأ وفاته ، وقد كان بين الاثنين حملات نقدية شديدة بدأها « نظير زيتون » يوم اصدر « صيدح » ديوانه الاول « النوافل » عام ١٩٤٧ في « بونس ايرس » .

وتنطفىء الدهشة في عين القارىء حين يعلم ان هذا النقد لم يكن الا على الورق ، اما قلب صيدح الكبير فما كان اوسع منه واصدق حين بكى صديق اغترابه .

فحينما سألت صيدح عن اصعب نقد وجه اليه .. وممن . !

اجاب :

— اشد نقد بليت به كان منصبا على ديواني الاول « النوافل » الصادر في « بونس ايرس » عام ١٩٤٧ ، هذا النقد الذي نشر في مجلة « العصبة » — الاندلسية — في « سان باولو » في ٣٠ صفحة موزعة على ثلاثة اعداد متوالية صدرت عام ١٩٤٨ ، وكاتب هذا النقد او بالاحرى — القدح — كان المأسوف عليه « نظير زيتون » — أمين سر العصبة وقتئذ — ولا تندهش امام هذا الاسم العزيز على قلبك وقلبي ، فالرجل لم يكن يعرفني ولا سمع باسمي ، كما اني ما عرفت عنه ما عرفت الا بسبب هذه الحملة الجائرة وتلك السهام المسمومة التى رمي بها صاحب الديوان ، كأن بين الاثنين عداوة وثأرا ، او كأنه يتصيد رزقا او يطلب وجاهة من الاسترسال في التقريع والتشنيع والسخرية .

تناسى — غفر الله له — ان الاخطاء المطبعية لا يخلو منها كتاب ، ولا يحمل المؤلف وزرها ، وتناسى ان الكتاب وسيلة لاغاثة المشردين من فلسطين ، وان حوله وفي كل عاصمة من عواصم امريكا ادباء كراما يطوفون على المنازل والاسواق لبيعه على ابناء العرب ، ولا يجوز له تثبيط همتهم او تزهيد القراء بمطالعة الكتاب .

ذلك ان الصفحات الاولى من ذلك النقد الجارح كانت اعتراضا ساخرا على تسمية الديوان « النوافل » ، وقد فسرها (العطايا) ، لم احرك ساكنا تجاه هذا الهجوم العنيف . ولكني ارسلت الى مجلة (العصبة) قصيدة بعنوان (القلم المداد) مهداة الى كاتب تحامل على الديوان .

فحاول « نظير زيتون » منع نشرها فلم يستطع . بل ظهرت في المجلة بعد انتهاء مقالاته وادت الى « حرده » وانقطاعه عن « العصبة » شهورا ، الى ان دبرت الاقدار سبيلا للتفاهم بيننا ، اذ زارنا الصديق (عبد المسيح حداد ، صاحب جريدة (السائح) النيويوركية وحضر ندوتنا . ثم توجه الى سان باولو واجتمع بصديقه الحميم (نظير) وجرى بينهما حديث عن صاحب (النوافل) كانت النتيجة ان نظيرا عاد الى « العصبة » ثم كتب الي رسالة مودة واعتذار .

وكرت الايام فاذا (نظير زيتون) في « حمص » وانا في « دمشق » عام ١٩٥١ ، اتلقى منه التحيات برقيا ، ثم يحضر للتسليم علي . ويحضر حفلة تكريم اقامتها ادارة النادي العربي بدمشق ، فيلازمنا اياما وتتوثق بيننا روابط المحبة والاخوة والتقدير المتبادل .. وقد صعقت — كما تعلم يا صديقي — يوم فجعت بوفاته ، ونزل علي خبر وفاته نزولا مروعا .

نحن امام هذه الاجابة العفوية والمباشرة نتعرف على الانسانية الرفيعة عند الشاعر « جورج صيدح » هذه الانسانية التي طالما كانت ممزوجة لديه بجانب الروح القومية العالية .

فعلى الرغم من ان الشاعر كان كبساط الريح يضرب في اركان الارض مشرقا ومغربا ، يعيش في رحلاته وتنقلاته ومن قبل في اغترابه ، مع أعاجم الفكر واللسان ، الا انه كان لا يفتأ في كل آن ان يتحدث عن قضية العروبة ، شغله الشاغل ، ويوسع هذه القضية بحثا ومعالجة ومعايشة وشرحا لكل من حوله .

وعلى الرغم من الشيخوخة التي يعيشها صيدح في مغتربه الثاني ، فرنسا ، فانه يناصب العداء لاعداء الامة العربية جهارا وبلا دبلوماسية ، انما بعفوية الشاعر الصادقة ، فها هوذا يكتب الي رسالة مؤرخة في ١٩٦٧/٩/١٦ يقول :

« انني عائد اليوم من جنيف ، هذه المدينة الموبوءة بانفاس اليهود ، المدلهة بحب اسرائيل ، ولولا اضطراري لتسفير حفيدي من مطارها ما وطأت ارضها » .

ويسترسل الشاعر الوطني في هذه الرسالة باجترار آلامه ، فقد كان متعبا وجائعا في وقت معا حينما دخل احد مطاعم جنيف فقرأ لوحة عند مدخل المطعم تقول :

« ممنوع دخول الكلاب والعرب » . فتالم من ذلك كل الالم ، ونسي الجوع الذي يمزق امعاءه ، وخرج من المطعم بعد ان لقن صاحبه درسا لا ينساه ، واقسم الا ياكل في هذه المدينة اللعينة ، وقفل راجعا الى باريس وهو يحمل آلام القلب والمعدة ، وما كاد يصلها حتى ساءت حاله ، فدخل الى المستشفى للعلاج ، وما كدت اعلم بالنبأ حتى ارسلت اليه رسالة وسدتها قلبي الذي هو معه في مرضه كما في شفائه .

وظل فترة غير قصيرة يعالج في المستشفى ، وقد وجد لديه الهم والوقت معا ، فراح يبعث الي برسائله الطويلة فيها الشكوى وفيها المرارة وفيها امنيات صادقة للموت .

وفي رسالة بعث بها الي بتاريخ ١٩٦٧/١١/١٢ ، كتب يقول :

« قرات كتبك التي ارسلتها الي لتسعفني في وقت انا فيه بحاجة الى الراحة والارتياح ، فوجدت في هذه الكتب بعض العزاء ، وان كان عزاء مؤقتا ، وهنا في المستشفى لا املك مؤلفا واحدا اهديه لك ، ولكنني وجدت في محفظتي نسخة من آخر قصيدة باكية كتبتها — وربما كانت سبب مرضي وبلوتي — ارسلها اليك للذكر لا للنشر .. »

كانت القصيدة بعنوان « متى نلتقي » ، وحسب امانته فقد حرصت على كتم هذه القصيدة وعدم نشرها ، ولولا انها صدرت مؤخرا في ديوانه « شظايا حزيران » لما اعلنت عنها ، لكنني اليوم في حل من هذه الامانة بعدما نشرت :

والقصيدة صرخة مميتة ، يزفرها الشاعر مدمع العين والقلب ، الحسرة تأكل وتعشعش في ثناياه ، والامل يكاد يكون ضربا من المستحيل .

كتب الشاعر هذه القصيدة يوم السادس عشر من حزيران سنة ١٩٦٧ ، وجرح النكسة ما يزال ينز دما راعفا ، وهي في نفس الوقت نقد ذاتي يبلغ منتهى حدود الايلام لواقع الامة العربية بعد يوم الشؤم الغربي :

متى نلتقي ؟ لا بد للطير من وكر ... ولا بد للاحرار من منزل حر
بعيدا عن الاوطان ، مقبرة المنى ... بعيدا عن السكان ، مهزلة العصر
ديار العبيد البيض ليست ديارنا ... ولا قومنا من قامة الحمر والصفر
تعال معي فالغرب يستر عارنا ... اما عجز الشر المهيض عن الستر
تعال معي فجلاد العروبة سامح ... بان نلفظ الانفاس في جوه الشعري

واذا كان الشاعر يعتبر نفسه انه ضمير الامة ، فلا بد لهذا الضمير من ان يكون صاحيا وبالتالي لان يكون صادقا حتى ولو كان في هذا الصدق جرح جديد ، فلا بد ان تستيقظ النفس ويتنبه العقل ازاء الكلمة الصادقة الموجعة :

طغت روح ابليس الرجيم على الورى ... فلم يبق الرحمن فينا سوى النزر
بحقرنا نسل الحقارة والخنى ... ويمرغ في اعراضنا حين يستشري
ولو اصلح الاعراب ما في نفوسهم ... لما روعت فئرانهم غارة الهر
اساي على الشعب القطيع مسيرا ... من الوعر معصوب العيون الى الوعر
غزتهم كلاب الجار في عقر دارهم ... فباضت ديوك الدار من شدة الذعر

كانت جريدة « الحياة » اللبنانية قد نشرت مقالا طويلا بعنوان « واشكيباه » احتجاجا على تدنيس اليهود للمساجد الاسلامية والاقصى ، قالت في ختامه :

(اين شكيب ارسلان يطلق الصرخات من جنيف ، فتتالب على صوته الشعوب الاسلامية في جميع الاقطار ؟) .

فقرأ « صيدح » هذا المقال ، وتالم لهذه الصيحة المرهومة ، فمن ادرى من الشاعر بجنيف التي سوف تقف في موقف المنصف . وهو قد رأى فيها ما لم يره غيره :

فاطلق صرخة مدوية كانت كانفجار اكبر قنبلة عرفتها الدنيا ؛ فاستطاعت هذه الصرخة ان تهز وتصفع كل انسان عربي ؛ لعل الهزة او الصفعة على شدة المها تعيد الصواب الى الاذهان الحالمة ؛ فها هو يقول :

رمم نحن . دع (شكيبا) وهمه ... قاصف الرعد لا يحرك رمه
حشرجات الاباء ضاع صداها ... في كهوف المطامع المدلهمه
رحم الله عهده . كان فيه ... قولة الحق لا تشكل تهمه
اصبح اليوم اصدق الشعر يخشى ... من حواه الكلام نقدا ونقمه
فضح الخطب علة الضن والجبن ... وعرى الدعي من ثوب صمه
فشكا القادرون غدر الليالي ... وبكى السارقون سالف نعمه
ما تمطى على المساجد علج ... يوم كنا على صراط الائمة
يوم طعنا لسنة الله فينا ... فاستطعنا ما ليس تستطيع امة
ذلك الحظ خاننا يوم خنا ... وخفرنا لارضنا الام ذمه
ولادهى من صدمة هشمتنا ... ما دهانا من غفلة بعد صدمه
اترانا من الملمة ننجو ... كيف ننجو ونحن نحن الملمه ؟
قد هزلنا امام جد الاعادي ... فانتهينا قبل ابتداء المهمه
واسترحنا على الحضيض كصخر ... حطه السيل من مشارف قمه
لم نجد في الشعوب شعبا سوانا ... خذلته ارحامه دون رحمه

وينتهي « صيدح » بقصيدته هذه بأبلغ النقد واقسى الاتهام ، مذكرا الفرقة التي كانت تعم الوطن العربي والشقاق الذي كان بين الاخوة ، فمن مرارة الاحزان يصيح ويمعن في الصياح :

غيرة الدين البت كاشحيا ... لم تؤلب جموعنا ، وهي جمه
يا (حقوق الانسان) لا تشمليتا ... نحن قوم نبيع حقا بلقمه !

ولا بد اننا نذكر بمرارة حالة الامة العربية بعد نكبة الخامس من حزيران ، وقبلها .. هذه الحالة التي حققت لاعداء الامة ما رسم لها بالعمل والعمل الطويل ، وها هوذا الشاعر الملتاع يأخذ على الامة :

ان الكلام بلا عمل ... احلى مذاقا من عسل
قول قديم سار في ... اسماعنا سير المثل
اخذت به دول العروبة ... دون مختلف الدول
فاستكملت عدد الكتابة ... والخطابة والجدل
حتى اذا حم الكفاح ... نبا السلاح المبتذل
وتكسرت فوق الصخور ... قرون اكباش الدجل
لم يبق من حمم البيان ... سوى الدخان على المقل

وكنت قد اخذت على « جورج صيدح » مسحة التشاؤم وجوانب اليأس ، فكتبت اليه رسالة طويلة أنتقد فيها اقواله واشعاره ، واذكره بأن تاريخ الامة العربية مليء بالنكسات ، لكن كل هذه النكسات لم تزعزع في جذورها الاصيلة ، فقد قامت بعد كل نكسة قومة قوية جبارة وحطمت آمال العدو وعزيمته ، فاذا هي تعود اقوى مما كانت .. وتنتصر .

لكن الشاعر ، كان يستعجل النصر ، متلهفا لعمل تقوم به الامة العربية فترد على خصمها ردة تسكت عنجهيته ، وتخرس فيه عظمة النصر التي ينتشي بها ؛ فكتب يرد على رسالتي برسالة مطولة يقول فيها :

« اصطحبت رسالتك الثمينة عند مغادرتي باريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منذ اسبوعين الى المشتى الجبلي . حيث اطارد شمس الالب عروس الشتاء ، بغية الاستجمام والاستشفاء .

لنقف عند تفاؤلك في مجرى الاحداث وفي مصير الاوطان ، انا لا ارى مبررا لهذا التفاؤل ولا مخرجا من المازق الحالي .

وكأننا لم نتعلم شيئا من مصائب تتوالى على امتنا تهدد بانهيار الاوطان وزوال الكيان . على ان اسعد يوم في حياتي هو يوم يتضح فيه ضلالي وغبائي ، ويرجح فيه راي المتفائلين الراسخين في العلم .

سيكون ذلك اليوم عيدي الاخير قبل عبور الجسر الخطير الى الضفة الثانية التي ادنو منها واتبين ملامحها بخيالـي .

وانا اليوم اروض شيخوختي على الخوض في الثلوج ، وعلى النهوض الى المرتفعات ، لعلي اشرف علـى المقام الذي ينتظرني عن كثب ، او لعلي اتقرب من عرش الله العظيم متى بلغت القمة ، ان تسمع اذن الرحمن الرحيم دعوتي ، بأن ينقذ امتي ويقيل عثرتي .. انـه السميع المجيب عليه اعتمد واليه انيب .

ها قد مضى العام على النكسة ، وكل ما اخشاه ان تضيع الجهود في ندوات تعقد هنا او هناك في عواصم الوطن الحبيب حول دور المثقفين العرب مـن قضية فلسطين ، العدو في الباب يتربص بسكان البيت ، ونحـن نبحث في الذهنيات والشكليات ومبادىء الدراسات ممـا ذكرني بالمناقشات البيزنطية في التاريخ ، حـين دخل الفاتحون العرب القسطنطينية ، فوجدوا اولياء امرها في جدل عنيف آخذ بالبابهم موضوعه : جنس الملائكة في السماء ، اذكور هم ام اناث ؟ .

آمل ان اسمع منك اطيب الاخبار ، وان تكون على خـير حال مـن الرضا فيما تكتب وفي العافية . ودمت لجورج صيدح ... » .

كنت قد توجهت بالسؤال التالي للشاعر « جورج صيدح » عقب نشر ديوانه « شظايا حزيران » الذي طبع في بيروت في ١٩٦٩/١٠/٣٠ بعشرات الآلاف من النسخ :

في مجموعة شعركم الاخير (شظايا حزيران) كلام موجع ، على الرغم من انه نابع من صميم القلب ، فهـل عنف المأساة العربية التي نعيشها الآن هي التي طبعت شعركم الاخير بهذا الطابع .. ؟

فكتب مجيبا :

نعم . هي الفجيعة العربية التي حولت الكلمات الى سهام ، وجعلت من الشاعر الرقيق جلادا قاسي القلب . يقول اجدادنا العرب :

(الشعر شيء يجيش في صدورنا فنقذفه على السنتنا بينما اكبادنا تحترق) . والكلام الموجع الذي تشير اليه هو (الكي) الذي لا بد منه لأمة كأمتنا اصابها المرض بجسمها وروحهـا .

فالشاعر المخلص هو الذي ينذر امته بالخطر الداهم ، ويلومها على التغافل عنه ، وليس بمخلص لها من يمجدها على موقفها راضيا عـن خمولها ، مرددا بطولات السلف الصالح ومعللا بنصر مـن الله وفتح قريب .. دون جهاد ولا عناء ولا تضحيات .. انها خدعة مشينة ، بل جناية على الاحياء منا والاموات !

عند هذه الاجابة الصريحة والصادقة تنمحي صورة التشاؤم واليأس التي قد تصيب العقول والنفوس ، لتصبح هذه الصورة مبعثا حقيقيا على تغيير مـا هو قائم لما هو افضل وانبل واشد نصاعة مـن اي يـوم كان في تاريخ العروبـة .

وتسـلل ديوان « جورج صيدح » — شظايا حزيران — الى ايدي كل العرب في كل بقعة من ارضهم ، حتى كادت قصائده تتناقل في كل مناسبة وتذكرة ، تتناقل لا شماتة وتخاذلا وانما لاستثارة الهمة وبعث التمرد علـى الواقع المؤلم ، ولعل « شظايا حزيران » سـاهم الى حد كبير جدا في محو عار حزيران الى كرامة وشهامة تشرين — اكتوبر ، العظيم .

ولا مشاحة بأن (الشاعر المخلص هو الذي ينذر امته بالخطر الداهم ، ويلومها على التغافل عنه ، وليس بمخلص لها من يمجدها على موقفها راضيا عن خمولها) .

هذا هو الشاعر العربي الكبير « جورج صيدح » ، العاشق المتيم للارض والعروبة وتراب الوطن ، والذي يعتبر احدى المنارات الهادية في الغرب ، لحب الوطن .. ساعيا على الرغم من شيخوخته للدفاع عن حق الامـة العربية في مجدها وخلودها ، كما انه سفير هذه الامة في الغرب ، مدافعا عن الحق في حماس لا يعرف التقاعس او الملل .

وهو الشاعر العصامي النبيل الذي وصفه الشـاعر الكبير « ايليا ابو ماضي » فقال عنه :

يا شاعرا غنى فرد لي الصبا … فـاذا مواكبـه تسير امامي
انا التقينا في الشباب وفي الهوى … في حومتين : الشعر والالهام
وسنلتقي وان افترقنا في غد … في حـب لبنان وحـب الشام
وستلتقي روحي وروحك بعدما … تفنى الهياكل في الاله السامي
الصيدح الغريـد في انغامـه … عبق الورود ونضرة الاكمـام
هو ان ذكرت الشعر من امرائه … واذا ذكرت المجد فهو عصامي

اجل . ان « جورج صيدح » واحد من امراء الشعر بلا تردد . نذر قلبه وروحه لعشق واحد لا يتبدل او يتغير مع الزمن ، هذا العشق الذي تراه منذ اول بيت كتبه في حياته حتى آخر حرف يخطه الآن « العشق الواحد للعروبة » والعرب ، والوطن وترابه المقدس .

حمص — سورية

عدنان الداعوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحوار في شعر عمر بن ابي ربيعة

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

شاعر يهيم بالجمال أينما كان ، وهب حياته للحب والهوى ، قصر شعره على وصف النساء والتشبيب بهن ، لقب بزعيم الغزلين . تناوله النقاد من نواح كثيرة ، ولم يزل شعره جديرا بالدراسة والبحث : ـــ فقد تنوعت خصائصه ، وتعددت مزاياه . ومن الظواهر التي اراها جديرة بالتأمل لدى شاعرنا « عمر بن ابي ربيعة » ظاهرة الحوار ، فقلما تخلو قصيدة له من محاورة واخذ ورد . ويبدو ان غرامه بالنساء جعله مولعا باسترجاع اقاصيصه معهن ، وكأنه يتلذذ بذكر هذا القصص .

فهو يضمن القصيدة خلاصة الموقف الذي كان بينه وبين محبوبته من خلال الحوار ، وقد يأتي هذا في صورة قصة محبوكة الاطراف ، حافلة بالتفاصيل ، لها مقومات القصة الناجحة ، من حيث كونها وسيلة لوصف المجتمع ، وتصوير الحياة . ومـــن الامثلة على ذلك قصيدته التي مطلعهـــا :

امن آل نعم انت غاد فمبكر   غداة غـــد ام رائح فمهجر

فهو يسرد من خلالها مـــا كان بينه وبين محبوبته ، كيف الوصول اليها وآلها يحيطون بها من كـــل جانب وتدور الاحداث التي تموج بالحيوية والانفعال . شعوره المتدفق يدفعه لان يغامر ويتسلل اليها ليلا على غير توقع :

فحييت اذ فاجأتهـــا فتولهت   وكادت بمكنون التحيـــة تجهـــر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني   وانت امرؤ ميسور امرك أعسر
فوالله ما ادري أتعجيل حاجة   سرت بك ام قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى   اليك وما نفس من الناس تشعر
فقالت وقـــد لانت وافرخ روعها   كـــلاك بحفـــظ ربـــك المتكبـــر
فانت ابا الخطاب غـــير مدافع   علـــي امـــير مـــا مكثت مؤمر

وتتوالى الاحداث ، وتكون عقدة القصة : لقـــد لاح ضوء الفجر ، واستيقظ بعض القوم فيتباحثان معا . ويقلبان اوجه الراي ، كيف يكون المخرج ؟

فلما رات مـــن قـــد تنبه منهم   وايقاظهم قالت : اشر كيف تأمر
فقلـــت اباديهم فامـــا افوتهـــم   وامـــا ينال السيف ثارا فيثار
فقالت اتحقيقا لمـــا قـــال كاشح   علينا وتصديقا لمـــا كان يؤثر

ثم لا ترى مخرجا سوى الاستعانة ببنات جنسها . ليكن عونا لها ، ويساعدنها على التخلص من هذا المأزق :

فان كان ما لا بد منه فغيره   مـــن الامر ادنى للخفاء واستر
اقص على أختي بـــدء حديثنا   ومـــا لـــي ان تعلمـــا متاخر
لعلهما ان تطلبا لـــك مخرجا   وان ترحبا سرا بما كنت احصر

ويتشاور النسوة معـــا ، ويستقر الراي على ان يلبسنه ملابس النساء ، ويمشي بينهن حتى يخرج من الحي :

فقالت لأختيها اعينـــا على فتـــى   اتـــى زائرا ، والامر للامر يقدر
فاقبلتـــا فارتاعتـــا ثـــم قالتـــا   اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
فقالت لها الصغرى ساعطيه مطرفي   ودرعي وهذا البرد ان كان يحذر
يقـــوم فيمشي بيننـــا متنكـــرا   فلا سرنا يفشو ولا هـــو يظهر

ومن المنطق ان تنتهي الاحداث عند هذا ، غير ان رغبة الشاعر في الحوار جعلته يرسم صورة لاحقة بالموقف لتزيد مـــن طرافته ، فالنسوة يلمنه على فعله ، ويوبخنه بعبارات قاسية ، ولكنهن اعرف بنفسيته ، لسوف يعود الى الحي نهارا ليختلس النظر الى من يهوى ، فان كان ولا بد فليكن حذرا حتى لا يثير الشكوك حولها :

فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي   اما تتقي الاعداء والليل مقمر
وقلت أهذا دابك الدهر سادرا   اما تستحي او ترعوي او تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا   لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

وللحوار في شعر ابن ابي ربيعة مدلولات متنوعة : فهو ان خلا من العنصر القصصي قد يكون لتسجيل الاحداث وتدوينها ، ويبدع شاعرنا حينما يجري الحوار منسقا مع الصورة التي يرسمها للمشهد . فهناك الفتاة التي لا عهد لها بالرجال تنقاد له دون مقاومة ، ولا يكون منها الا ما يلهج به لسانها : ذلك مـــا لم افعله من قبل . وفي غمرة المناجاة معه ينبيء حديثها عـــن شخصية قلقة ، تنقسم ارادتها بين الخشية من هذا الفعل والرغبة فيه :

وناهدة الثديين قلت لهـــا اتكي   على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت : على اسم الله امرك طاعة   وان كنت قد كلفت ما لم اعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتني   فقم غير مطرود وان شئت فازدد
فما ازددت منها غير مص لثاتها   وتقبيل فاهـــا والحديث المـــردد

واذا كانت صاحبته متأبية عليه ، غير عابئة به ، فهي لا تطيل الحديث معه تلقي قولها في حدة وعنف ، ثـــم تتركه يتحدث محاولا استرضاءها دون ان تلتفت اليه :

يا ربة البغلة الشهباء هـــل لكم   ان ترحمي عمرا لا ترهقي حرجا
قالت بدائك مت او عش تعالجه   فما نرى لـــك فيما عندنا فرجا
فقلت لا والذي حج الحجيج لـــه   مـــا مج حبك من قلبي وما نهجا
ضنت بنائلها عنا فقـــد تركت   عن غير ذنب ابا الخطاب مختلجا

وتتنوع معطيات الحوار في شعر ابن ابي ربيعة فمرة يكون خلاصة لفكرة معينة .

من رأيه ان شدة الهوى تؤدي الى الغفلة والحمق ، وما املح ان يأتي هذا الحكم بعد تساؤل من صـــاحبته :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا ليت ما عرفتها

يا ليت ما عرفتها   سرعان ما اضعتها
أين تراها ذهبت   أبحث .. ما وجدتها
ويحي : لعلي بالهوى   المنيف قد قتلتها
أحسست اذ انشدتها   شعري قد اشعلتها
فربما اكون في   لهيبه احرقتها
والله لم أكذب عليها   انني صدقتها
لأنني من أعمق الاعماق قد أحببتها
اغلى مشاعر الهوى والحب قد وهبتها
وفي شغاف قلبي الولهان قد رسمتها
ما العيش الا لحظات معها قد عشتها
يا ليت ما عرفتها لأنني .. اضعتها

بغداد ـ ص.ب ١٠٣٨   محمد جواد الغبان

ما الذي حدا به الى المجاهرة وهو الذي اعتاد التخفي ؟

قالت وابثثتها سري وبحت به   قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها   غطى هواك وما القى على بصري

واحيانا يوحي الحوار بالمقدرة الفنية للشاعر على الصنعة فكأنه يأتي به باديء ذي بدء ليصل الى صورة شعرية لها من الطرافة نصيب وافر .

تبدأ المحاورة مع ليلاه : تطالبه بالاقامة وعدم الرحيل ، عليه ان يتجنب لقاءها فقط حتى لا تتأكد الشبهات التي اثيرت حولهما . ولكن كيف السبيل الى ذلك ونظراته تفيض وجدا وهياما ، اذن فليصارع النظر محولا اياه الى اخرى ، ونتيجة الصراع محتومة حيث يميل مرغما اليها فتصبح العين حولاء :

لقد ارسلت في السر ليلى بان اقم   ولا تنأنا ان التجنب امثل
لعل العيون الرامقات لودنا   تكذب عنا او تنام فتغفل
اناس امناهم فبثوا حديثنا   فلما قصرنا السر عنهم تقولوا
فقلت وقد ضاقت علي برحبها   بلادي بما قد قيل فالعين تهمل
ساجتنب الدار التي انتم بها   ولكن طرفي نحوكم سوف يعدل
الم تعلمي اني فهل ذاك نافع   لديك وما اخفى من الوجد افضل
ارى مستقيم الطرف ما ام نحوكم   فان ام طرفي غيركم فهو احول

وهكذا كان البيت الاخير حافلا بالطرافة الناتجة عن المقدرة الفذة في الصنعة الشعرية . ويخيل الي ان الشاعر ساق الابيات الاولى من اجل انهائه الموقف بهذه الصورة البديعــة .

ومن معطيات الحوار من شعر عمر بن ابي ربيعة ان يوحي من خلاله بصورة لموقف نفس دقيق . فها هي فتاته تزهو بجمالها على اترابها ، ولا تقف غريزتها الانثوية عند هذا : فتريد ان تسمع منهن اطراء لها ، وهنا يبدع شاعرنا في التعبير عن نفسية المرأة ، فالنسوة يصبن بالغيرة ، ويمنعهن الخبث من ان يقلن لا ، فيأتي الجواب غامضا ، فلا هن انكرن جمالها ، ولا هن اقررن به :

ليت هندا انجزتنا ما تعد   وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة   انما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جاراتها   وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني   عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها   حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من اجلها   وقديما كان في الناس الحسد

... واذا كان انتاج الشاعر صورة لنفسيته ، فان الحوار في شعر ابن ابي ربيعة اكثر دلالة على هذا ، فهو يعين الناقد على فهمه دون حاجة الى التعمق في التحليل .

لقد اسن شاعرنا ، وهدأت حدة الشباب عنده ، وهجر قول الشعر ، ولكن مثله لا بد وان يحن الى صبابته ، فأي شيء يذكره بذلك العهد . وها هي الذكريات تموج بها نفسه ، فيعيش بخياله معها ، وتراه جاريته على تلك الحال فيدور الحوار :

تقول وليدتي لما راتني   طربت وكنت قد اقصرت حينا
اراك اليوم قد احدثت شوقا   وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذو عزاء   اذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل اتاك لها رسول   فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت : شكا الي اخ محب   كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند   فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا

وفي ختام حديثنا ينبغي القول : ان ظاهرة الحوار من شعر ابن ابي ربيعة في حاجة الى وقفة اطول .

لندن   محمود الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثارت عليها انوثتها ، واحست بجرح كبريائها . وقررت ان تفتح عينيه ، وتوقظه من غفوته ، وتحرك فيه رجولته ، التي غفت على صدر زوجته واولاده الخمسة ، وهو لم يتخط الاربعين بعد .

وكانت تعجب كل العجب ... من تلك الزوجة التي ملكت قلبه وعقله ... حتى صار عابدا في محراب جمالها ، وما هي بجميلة ...

فهي تذكرها جيدا يوم شاركتهم باولادها الخمسة ... نزهة القناطر الخيرية ... فكانت وسط الحدائق مثل عود جاف سقطت عنه اوراقه ... كانت بوجهها المخرب الضاوي مثل وجوه المصابين بداء السل ... تسحب اولادها في ذيلها ، وكانها خرجت بهم تسال الناس ... فهي تفتقر الى الذوق في كل شيء ... في اختيار ملابسها ، وهندام اولادها ، مثلما كانت مع زوجها دائما ...

وباتت (شادية عبد السلام) تحلم بيوم انتصارها على رئيس مكتبها (رفيق عزمي) ، وراحت تنصب له الشباك ، وتنازله باسلحتها النسائية المدمرة ، بالصوت الساحر ، والساق الناعمة ، وصدر عار يكاد يسقط امامه من حين لآخر ، وهو ليس هنا.

واكتشفت لاول مرة ... ان اسلحتها فاسدة ، ولم تؤت غير الفشل والهزيمة ، وما رفيق الا رجلا ، مثل كل الرجال ، الذين تعودت منهم دائما ... عيون جائعة ، ونظرات ثاقبة ، تكاد تنفذ خلال ملابسها ، وتلمس ... بل تنهش جسدها في جراة وشهوة .

وصاحبنا .. لم يعرها اهتماما ، وكان بينهما حاجز منيع ، حاولت هي تخطيه ، حتى تصل الى غايتها ، وراحت في غايتها تلك ، تركب كل وسيلة توصلها الى رفيق .

ساد مكان العمل بعض الهدوء ... هدوء ما قبل العاصفة .

ولم يكن لاحد ان يتصور تلك العلاقة التي نشأت بين «شادية عبد السلام» ورئيس مكتبها « رفيق عزمي » ، وقد وقع اخير في شباكها الحريرية ، ولم تشأ تجهز عليه ، الا والايام تأبى ان تسير على هدوئها ، وتهب العاصفة.

ذات صباح هادىء ، والعمل يسير على احسن ما يكون ، دلف من الباب رجل قصير ، تغطي راسه عمامة بيضاء في لون جلبابه الفضفاض ، بيده ورقة مطوية ، يمسك بها في حرص شديد ...

كان الرجل ثائرا ، وكأنه جاء بصحبة الشيطان ، جاء يطلب المدير العام ، يريد مقابلته في امر هام ، وامام المدير العام وصاحب الشركة ،

الباحثون عن السعادة

بقلم محمد امام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقدم الرجل بشكواه المكتوبة ، مشفوعة بكلمات الشرف والامانة ، وانه لا يطلب اكثر من حقه ، من السيدة شادية عبد السلام ، باقي اتعابه عن اعادة زوجها المدعو رفيق عزمي .

استمع المدير لكلمات الرجل ، ومر ببصره بكلمات شكواه ، ومرت لحظة صمت ، طرق فيها باب ذاكرته ... ذلك المشهد الذي مر به منذ ايام ساعة انصراف العاملين بالشركة .. حيث كانت شادية عبد السلام بصحبة رفيق ، ويومئذ مرق بسيارته دون

قصة

اهتمام ، واعتبر ان الامر لا يخرج عن صحبة طريق .

ولكنه اليوم وفي هذه الدقائق القليلة ، وقد كشف ذلك الرجل النقاب عن سر تلك العلاقة ، وها هو يطلب عشرة جنيهات باقي اتعابه عن اعادة زوجها ، وما هو بزوجها ، اذن فالامر خطير للغاية ، وحرصا على سمعة الشركة ، قرر المدير ابعاد الرجل عن مسرح العمل ، فاخرج حافظة نقوده ، وسحب منها ورقة نقدية فئة العشرة جنيهات ، وقدمها له ، واخذها صاحبنا ، وقد تبدلت اساريره ، وانصرف شاكرا .

اشار عصمت بك المدير العام الى شادية بالجلوس ، قدم اليها شكوى الرجل ، واذا ببصرها قد شخص مثل الموتى ، وبقيت صامتة لحظة ، ولم تجرؤ على ان ترفع عينيها نحوه ، فاخفت راسها بين يديها واجهشت باكية .

وعندما رفعت راسها في بطء ، تلألأ الدمع بعينيها اللتين لمعتا تحت شعاع الشمس الساقط من النافذة ، فكانتا جميلتين ، وخفق معهما قلب الرجل ، وقرأت في عينيه ما يعتمل في نفسه ، فبدأت تزحف نحو قلبه باسلوب نسائي لا يخيب .

هي تعرف انه زوج ، واب لثلاثة اطفال ، وتعرف ايضا انه زير نساء ، يقضي ايامه بين ينابيع الحب ، يتنقل هنا وهناك ، وخاصة في تلك الايام ، بينما زوجه واولاده يقضون شهور الصيف على شاطىء المعمورة .

بقيت شادية في صمت ساحر ، فهي امراة ... ذات موهبة لا مثيل لها في التعبير عن مشاعرها ، دون استخدام اقوال عالية الرنين ، فقد القت الى الرجل باحدى نظراتها الدقيقة التي تقول بها كل افكارها .

وموعد في المساء ، ولقاء على شاطىء النيل ، وتوافق بين همس المياه ونقاوة الهواء ، وبين افكار

خطرت مزدحمة في رأسيهما ... فهو يفكر في الحصول على رغباته . واقصر الطرق للفوز بصيده الجديد . وهي ايضا تفكر في اقتناصه ، فهو بالنسبة لها يمثل ثروة طائلة ، طالما حلمت بهـا ، ويجب الا تضيع من يدها الفرصة ، فكم حلمت بالسيارة التي تسابق الريح ، وتهرب بعيدا بعيدا ، تهرب من الفقر الذي ظل يطاردها منذ طفولتها ، كم تمنت الخلاص من ابيها وامها ، أب جاهـل عاطل ، يسيطر عليه (المورفين) ، ولم تجلب العار بجلستها خلف قطع الحلوى الموشاة بالذباب ... بيت في مهب الريح ، اب يسب ويلعن ويضرب ، ليحصل على المال عنوة منها ومـن امهـا ، التي تصرخ وتولول تحت ضرباته ، والجيران تتجمع كل ليلة في حجرتهم الضيقة ... بـين صاحب مروءة ، وصاحب عينان تنهش كل قطعة مـن جسدها ، عارية وغير عارية ، وفي الصباح .. تذهب الى عملها .. تضحك وتلهو وتمرح ، وكأن شيئا لم يكن ، كأسعد امرأة على وجه الارض ، فهي تعودت التمثيل منذ الصغـر ، وكـم كانت تحسدهـا الاخريات ، وهن في جهل من أمرها .

نعم هي حرمت الثراء ، ولكن الله حباها بمسحة من جمال ، هي ثراؤها وسلاحها في الحياة ، وهي تعرف كيف ومتى تشهره في وجه الرجال .

وها هي تراوض عصمت وتراوغه ، تعطيه الامل فيقترب ، حتى يخيل اليه انه مدركها لا محالة ، وعندما يتهيأ للفتك بها ، تنسل هاربة من بـين يديه ، ولا يظفر بغير عطرها .

وبات يحلم بتلك الساعة التـي يطفيء بها ظماه ، بعد ان ظل يلهث كل يوم خلفها ، ولا يحظى بغير اللوعة والعذاب ، فهي تزيد لهيبه وشوقه ، وتزيد جذوة الرغبة اشتعالا .

وذات صباح ... جاء على غير نوم ، وقد قرر الزواج من شادية عبد السلام وفي مساء ذلك اليوم ..

كانت شادية هي الزوجة الثانية له . وسبعة ايام بعيدا عن العالم ، الا من صوت (التليفون) يدق من حين لآخر . وحديث عمل بين السكرتير الخاص وبين عصمت ، الذي غمرته السعادة مع عروسه الشابة .

وكانت شادية وقد نعمت بكل ما تشتهيه نفسها مـن ثراء ، بعد ان تنازل لها زوجها عن الشقة كاملة ، وعن احدى سياراته الثلاث ، غير ما قدم لهـا من ضمانات شرعية وغير شرعية ... كانت قد وافقته الرأي

محمد امام

*

في ان تترك عملها . والى الابد : فهي ليست بحاجة اليه ، ولا يصح تواجدها بعد اليوم في الشركة ، ولكنها طلبت ان يكون ذهابها ليوم واحد فقط ، حتى تاخذ بعض اشيائها الخاصة من مكتبها ، وتنهي امـرا مـع احدى زميلاتها ، ولم يشأ ليرفض طلبها ، ووافق على مضض .

وقفت السيارة امام الباب الكبير ، لتهبط منها شادية ... السيدة شادية التي تعلقت بذراع زوجها : بطريقة غير مرغوب فيها من عصمت . الذي حـاول التخلص مـن ذراعها دون جدوى ، وكانت قسمات وجهه تنطق بعدم الارتياح لمصاحبتها ، وبدا نادما على صحبتها .. امـا هي فكانت ترتسم على وجهها اقواس النصر .

عيناها تتنقلان بسرعة غريبة بين الواقفين في الطريق الى المصعد ، ولسان حالها يقول :

ـ ها انا شادية عبد السلام .. زوجة المدير العام .. هـا هو الا ترونه ، انـه هنا الـى جواري ، والسيارة في الخارج ، اما سيارتي فهناك في الكاراج ... ليتكم ترونها ، وترون شقتي الواسعة ..

وكانت تتبادل النظرات مع عصمت ، وكأنها تؤكد خواطرها ، وتخشى ان تفقده وتتأكد من وجوده الى جوارها .

وكان رفيق عزمي بين الواقفين امـام المصعد .. احس بغصة في حلقه ، وخيبة امل في المرأة التي خفق لها قلبه ، فقبل ان يهنأ بحبه الوليد ؛ اتى الرجل الكبير ليقتله في مهده ، وها هي ترى سعيدة به ، وراح يقول لنفسه في تهكم ومرارة :

ـ اين انت يا رفيق من عصمت بك المليونير ، ثم راح يتأمل شادية لحظة ، وهي لم تزل الى جوار زوجها في انتظار المصعد ، يرنو اليهـا في تعجب قائلا لنفسه :

يـا الهي ، من يصدق ان تلك المرأة .. شامخة الرأس .. زوجة المدير كانت يوما لي ؟ ! وسوف ينظر لها الناس جميعا ... مـن الآن فصاعدا ... انهـا مثـال للشرف والعفة .. الم تخجل من نفسها .. من قبلة ! .. بل قبلات ... من تلك الليلة الساخنة .. تلـك الاحضان الدافئة ... ليتني قضيت على أنوثتها الم يبق لبصماتي اثر ... هل تضيع مثل تلك البصمات ، وان ضاعت من فوق الجسد ، فهـل تضيع مـن النفس .. الم تعدني بالزواج منها ..

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

الم اطلق زوجتي من اجلها .. لسوف انتقم ... نعم لسوف انتقم .

نظرة اخيرة يلقيها عصمت على الاوراق المتناثرة فوق مكتبه ، والساعة تقترب من الثانية بعد الظهر ، انفرج الباب عن وجه العروس الشابة بعد دقات تشبه الهمس على الباب ، دلفت يسبقها عطر الليمون المفضل عند عصمت ، الذي استقبلها في شوق بالغ ، فقد نهض من مقعده مادا ذراعيه لياخذ يدي شادية .. اقتربت منه اكثر مما يجب ، لفحت انفاسها الساخنة وجهه البارد من اثر هواء الحجرة المكيف ، كادت تلتصق به ، وهنا ، وفي تلك اللحظة ... كانت الزوجة (ناهد) تفتح الباب بهدوء شديد ، ودون صوت او سابق انذار .. فكانت وجها لوجه زوجها وعروسه .

تجمد عصمت في مكانه ، كانما نزلت به نازلة ، لم يستطع ان يصدق عينيه ، كاد يسقط سقطة الاموات .. لم يكن ليتصور ان تقع مثل هذه المفاجأة ... انفرجت شفتاه عن ابتسامة بلهاء لا معنى لها ، بينما يتراجع الى الخلف ، محاولا التخلص من شادية ...

كانت شادية تعرف ناهد جيدا ، تراجعت الى الخلف مشدوهة ، تراجعت الى الباب ، بينما تتقدم ناهد الى قلب الحجرة ، وشادية تنسحب حتى اصبحت في منتصف الباب المفتوح .. استندت بيديها خشية السقوط ، فقد احست بالحجرة تدور بمن فيها ، والارض تميد من تحتها .

وكان عادل شوقي السكرتير الخاص خلفها ، وكانه على موعد مع الاحداث وكانه في انتظارها ، استندت على ساعده الايمن ، فسحبها الى الخارج ، وجذب الباب بيده الاخرى ، والحجرة من الداخل تغلي ... حتى كادت تنفجر بمن فيها .

جلست ناهد دون كلمة .. لحظة .. غاب فيها الكلام ، لحظة صمت اقوى من الكلام ، بدأ عصمت يتنفس بعدها بصعوبة .. اخذ يبحث في راسه عن كلمة .. بدأ يجمع الحروف ليكون منها كلمة ، ولكن هيهات ... فقد ابت ان تستجيب له الكلمات ... فكان مثل غريق فقد الامل في كل نجاة .

وبطرف العين اراد ان يلاحظ ناهد ، فالتقت نظرتاهما ، كانت نظرتها المشتعلة تهم بأن تسحقه سحقا ... فأصابه شيء يشبه ان يكون رعشة ...

وبينما الحال هكذا ، نهضت من مكانها ، وهي تقول بصوت قاس ظاهره الهدوء :

— هيا بنا .

وانساق خلفها مثل ظلها ، وكانه يمشي وهو نائم ، حتى انه لم ير احدا من الواقفين في الطرقات ، ولم يسمع همساتهم :

— يا للمصيبة . !

— ياله من ابله . !

— وغد شقي يجري خلف نزواته .

عالج السيارة بطريقة آلية ، ولم يلق بالا باشارات المرور ، وسلمت السيارة من عدة حوادث في طريقها الى البيت ، وكان الصمت يخيم على جو السيارة ... صمت مفعم بانفعالات شتى .. انفعالات ناهد مع نفسها ، وانفعالات عصمت مع ذاته .

هي مع ذكرى زواجها من عصمت .. زواج تقليدي .. ابن المرحوم عبد الحميد باشا ، الوريث الوحيد لتركة ابيه ، وامه تسعى لزواجه قبل موتها ، والخاطبة والوساطة ، والعائلات الكبيرة والحسب والنسب ، وامه ترغب ، وامي كلها امل ، وابي احيل الى المعاش المبكر بسبب مرضه ، وكاد يتوسل لي يومئذ الا ارفضه ، وجعلني اقبل شرط عصمت الوحيد : وهو ان اترك عملي فورا ، وقبلت ...

وقضينا شهرا على شاطىء بحر العسل ، انها الذكرى الجميلة في حياتي ، وبعدها رايت النجوم ظهرا — كما يقولون — .. فكاد يهجرني ويهجر البيت .. جريا خلف النساء .. مجرد احساس ولكنه صادق ، فما من امراة يخونها زوجها ، الا ويدركها ذلك الاحساس .

وعندما يشعر عصمت باني اشير اليه بأصابع الاتهام ، يسرع فيغدق علي بالهدايا ، وكانه يصحح المسار ، ويعود لي يوما او بعض يوم بكلمات اقبلها في مرارة ، ثم يعود من جديد الى سيرته الاولى ، ومع هذا فانا لم انكر حبي له .

اما عصمت فكان صمته رهيبا ، وكانت بعض قطرات العرق البارد تخطط جبهته العريضة ، الصفراء ، وكانت عيناه محتدتين ثابتتين جافتين ، كانه يتأمل صراعا في قلب الظلام ، ومرت فوق جبهته افكار عاصفة سريعة ... هل علمت ناهد بزواجي من شادية ؟ وكيف اعلل تواجدها في مكتبي على هذا النحو ، وبتلك الصورة ؟ ، وما سبب قدوم ناهد المفاجىء الى القاهرة ، وحضورها الى الشركة ؟، وماذا ، ولماذا وكيف ؟، وهكذا دون اجابة .

دلفت ناهد الى حجرة النوم ، واتجه عصمت صوب الشرفة الكبيرة، التي تطل على حديقة الاسماك ، وبينما هو حائر يبحث عن مخرج ، راح يبحث في سترته عن علبة التبغ ، ليشعل واحدة ، قد ينفث مع دخانها بعض همومه ، او تساعده على التفكير في الخروج من تلك الكارثة التي حلت به .

وبدات ناهد تتحرر من ثيابها قطعة بعد قطعة ، حتى اصبحت شبه عارية ، وتناولت غلالة رقيقة لتضعها فوق جسدها ، ولكنها لاحت امام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عينيها صورتها الشبه عارية في المرآة . فأحست بخجل طارىء ، سرعان ما ذهب وراحت عيناها تشارك اصابعها الرقيقة في المرور على جسدها ، من اعلى شعرها الناعم ، حتى ما بعد ركبتيها . .

وضعت غلالتها الحريرية فوق جسدها الساخن ، فبدا يهدأ وبدت هي كعذراء مستعدة الى الاستسلام لنشوات الحب . وسحبت خيوط النافذة ، التي كشفت عن سحر المكان ، وقد امتلأ برائحة الزهور ، وملامسة الهواء الرقيقة ، مما جعل روحها كسولا عاشقة . . رغم ما وقع لها طوال يومها .

في هذه اللحظة سمعت صرير الباب ، لم تلتفت ، بل ظلت ترنو من النافذة ، فهي تعرف القادم ، فلا احد غيره ، واولادها الثلاثة في النادي ولن يعودوا قبل غروب الشمس . .

استنشقت ناهد الهواء بطريقة من نفذ صبره ، وهي ترفع رأسها ، وتلتي الى عصمت . . الذي اقترب منها . باحدى نظراتها الدقيقة التي نقلت بها كل ما يدور بخلدها . .

وكلما اقترب عصمت ، زاد اضطرابه ، مثل صبي صغير ، فعل فعلة نكراء ، يستحق عليها عقاب امه ، فيتقدم ويتأخر خشية ان يقع في يدها ، فتوسعه ضربا .

ولما كانت غير راغبة في سماع شيء ، بل سماع صوته بالمرة ، فلم تشأ له ان يتكلم ، فوضعت اصابعها على فمه ، تمنع كلمات جوفاء بلهاء . كثيرا ما سمعتها من قبل ، واشعرتها غريزتها كامراة ، بانه من الضروري في تلك اللحظة الخطرة ان تدفن حبها في قاع قلبها ، وبقيت بعض الوقت في صمت مطبق .

ولم يعش الصمت طويلا : فقالت فجاة وهي تزمجر مثل عاصفة عاتية :

— لقد حسبت عدة مرات وسائل قتلك :

وجل عصمت برهة . وابتعد خطوة للوراء مأخوذا . وهو يقول في صوت خفيض ، وكأنه قادم من بعيد :

— ماذا تقولين ؟

— اقول ما سمعت !

ثم اضافت في نبرة كلها عتاب . لقد احست ان عبارتها السابقة كانت شديدة اللهجة ، قاسية الوقع عليه :

— لن احدثك عن حبي ، فروحانا تفهم احداهما الاخرى اكثر مما يلزم ، اما انا فأحس هذا الحب واعرفه واراه ، وبعد ان تيمت قلبي من اجلك ، اراك اليوم تبخل بالوصل عني ، وبدلا من ان احصل منك على دليل حبك لي واستمراره ، اجدك تتزوج بأخرى ، ماذا تراني صانعة بك ؟ وما عساي ان افعل بامراة خطفت زوجي ؟ . .

لم يجد عصمت افضل من الصمت ، ليجيب به على اسئلتها ، وهي تستطرد في حرص شديد ، وحتى لا يفلت من يدها الزمام .

— هل اقتلها ؟ ليس حلا ، فسوف اعدم ، وتجري انت خلف ملذاتك اذن اقتلك انت ؟

وهنا تراجع عصمت الى الخلف خطوة اخرى ، بينما تكمل ناهد في انفعال مصطنع .

— لقد خطرت في ذهني فكرة القتل ، ولكن من اقتل ؟ فلم احدد بعد ، قد اقتلكما معا ، نعم ... اقتلكما معا ... فانا الخاسرة في كلتا الحالتين .

وكان صوتها قد انخفض قليلا وقد بدأت ثورتها تهدأ ، وهي تقول بصوت خفيض :

— وبعدئذ . . اقتل نفسي بيدي ، وتكون النهاية التي بدأتها انت (تشير اليه) ، ولكنني ما زلت افكر ، ولم اعرف بعد ، بمن ابدأ ؟ ومتى ؟ .

وراودته كلمة ، ولكنها توقفت عندما قالت ناهد في سخرية :

— يقولون مجنونة ! . لا بأس . فلا ضير ان اكون مجنونة في نظرهم . ولكنه عين العقل ان اقتل — تومىء برأسها مرددة — هو ذاك . . هو ذاك .

لم يزل العرق يتساقط من جبهته الصفراء ، بل كاد ينحب كالطفل . وقد استدار للخلف دون ان يجرؤ على الكلام ، خوفا من التهديد والوعيد . فهو يرى ناهد اليوم ، بصورة لم يعهدها من قبل ، وعند الباب استدار نحوها قائلا بصوت مرتعش كله اسف وندم :

— لم يكن من السهل ان اقف امامك على هذا النحو ، لك ما تشائين ، القتل ... الطلاق ... ما تشائين ، ولكنني اعدك صادقا لاول مرة ، اذا ما كتب لنا ان نعيش سويا ، اعدك بأن اكون زوجا مخلصا .

وقبل ان يبرح مكانه اكمل قائلا :

— اما ما وقع اخيرا فسوف اصلحه ، واعيد الامور الى نصابها ، ففي الصباح سوف ينتهي كل شيء ، نعم ... سوف اتخلص منها . .

ومع نهاية كلماته دق جرس الباب ، وذهب عصمت ليستطلع القادم ، وكانوا اولاده الثلاثة ، تسبقهم اصواتهم المختلطة مثل زقزقة العصافير المرحة التي زادت مع لقائهم بأبيهم بعد غيبة طويلة ، منذ آخر لقاء بالاسكندرية .

ويبدو ان ناهد كانت تدبر امرا خفيا ، اذ تظاهرت بأنها مريضة ، وجلست من ركن قصي في نهاية الصالة الفسيحة ، ترقب زوجها واولادها الثلاثة .

وعندما حاول الصغار اقحامها في حديث مشترك مع ابيهم ، ابت وتعللت بمرضها قائلة :

— ابوكم معكم الليلة ، اما انا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com